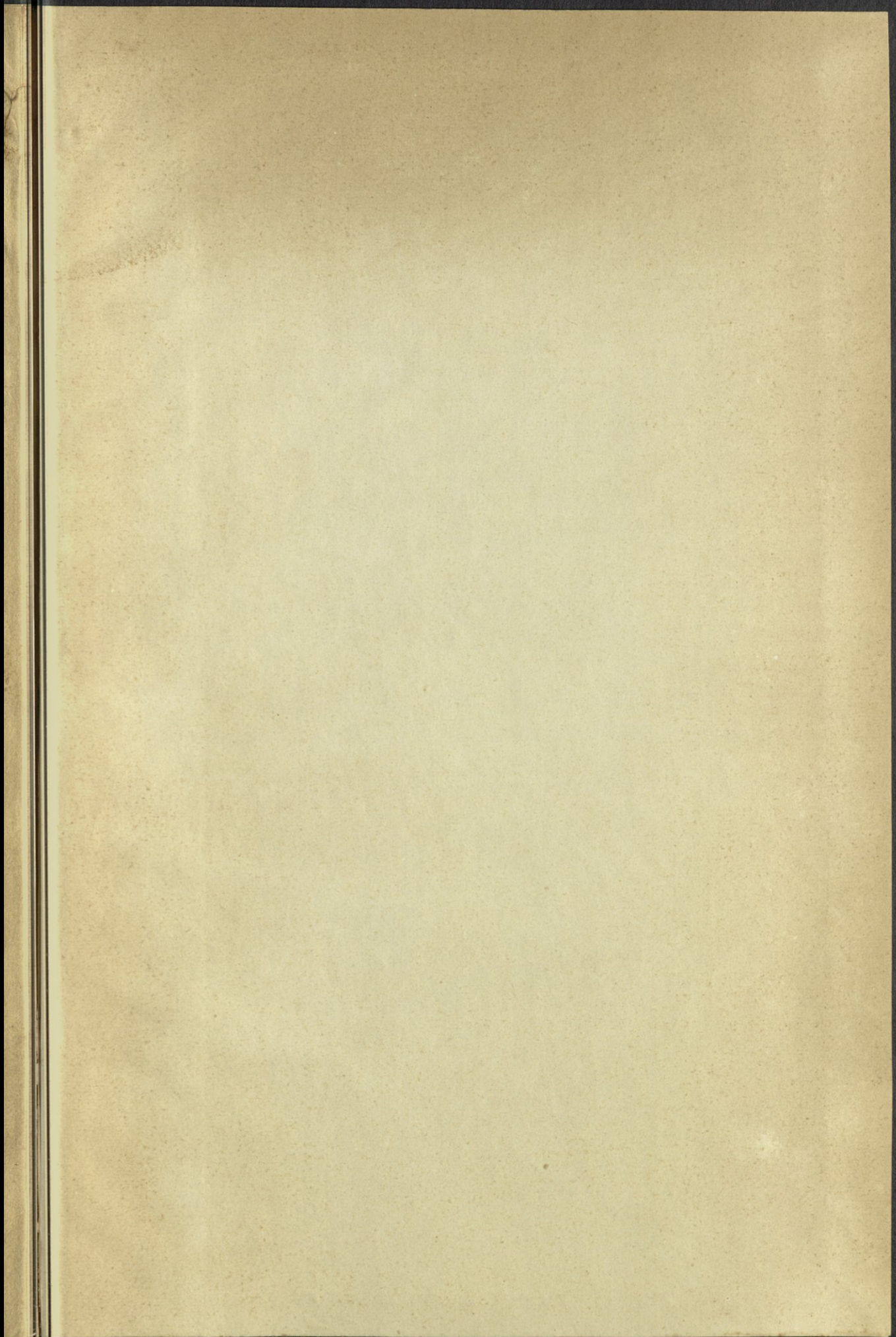


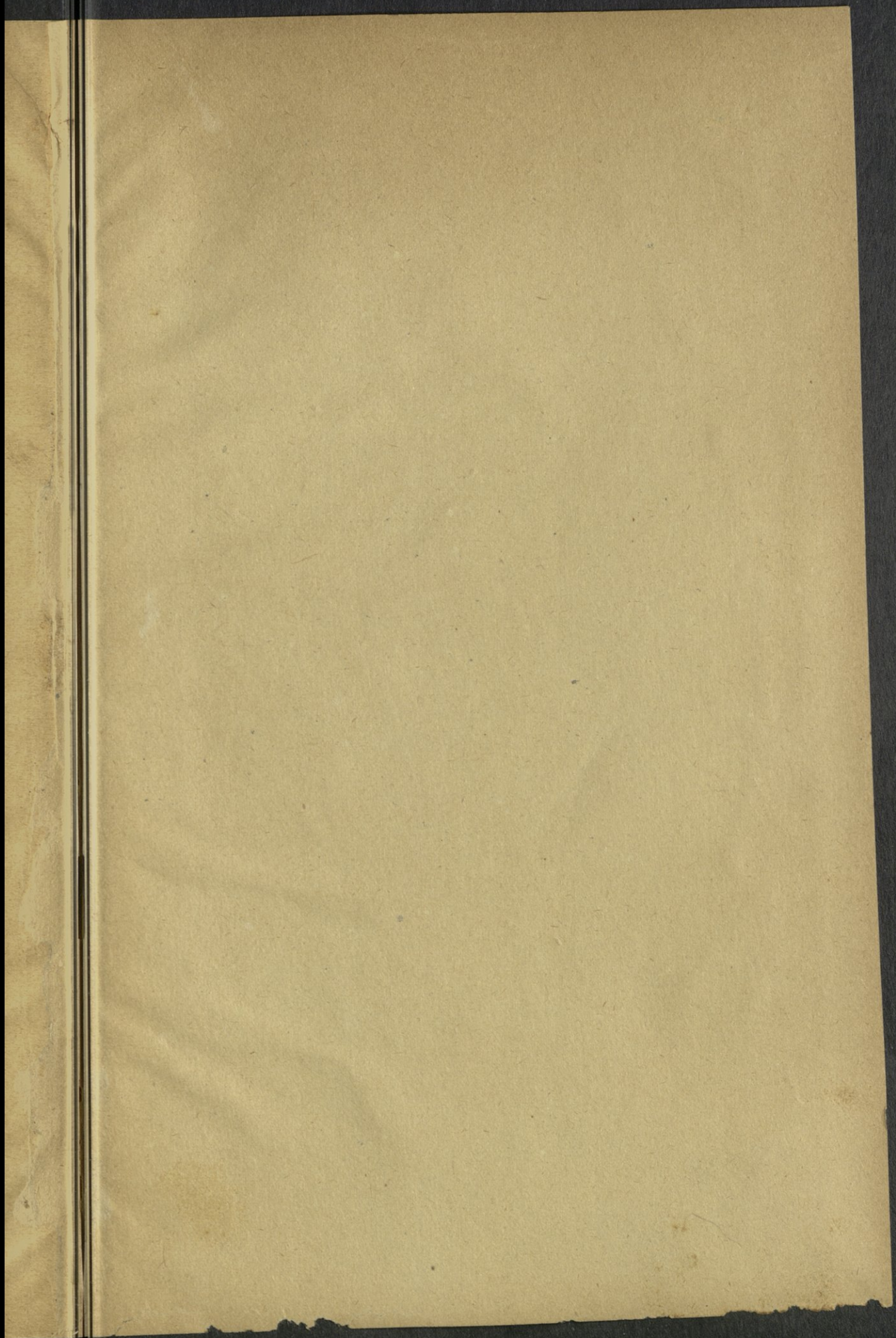
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A.U.B. LIBRARY



9



فهرست شرح قصيدة ابن سينا

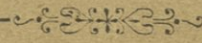
صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
٢٤	فضول من يقول اعبد الله	٣	ترجمة ابن سينا ومؤلفاته
	لا طمعا في جنته الخ	٣	سبب تصنيفه لسان العرب في اللغة
٢٥	معنى ثم لا يموت فيها ولا يحيي	٥	المقدمة في بيان ماهية النفس
٢٥	الارواح من عالم الجمال والقوه	١٠	عالم الخلق والامر
	العلمية من عالم الجلال	١١	الارواح السماوية والارضية
٢٧	اول القصيدة	١٢	النفس السمائية والارضية
٣٢	النفس الحيوانية	١٢	الفرق بين الروح والنفس
٣٣	الخير من الملائكة والشر من	١٢	مراتب الموجودات
	الشياطين	١٣	امتناع الرسل عن بيان الروح
٣٥	هبوط النفس بواسطة او بغير	١٤	الانسان يطلق على معينين
	واسطة	١٥	البصيرة
٣٥	العقل الفعال جبريل	١٦	اتصاف النفس بالاسماء الحسنى
٣٥	روح المؤمن على صورة النحلة		وضدها
	وروح الكافر على صورة الجرادة	١٧	النفس لا تتجزأ الا بالعرض
٣٦	الكواكب لها نفوس	١٩	الاشياء كلها في النفس العاقلة الخ
٤٠	الجسد يتبدل ولا يتبدل المدرك	١٩	الرياضة تقوى التأثيرات النفسانية
٤٤	كراهة النفس للفراق	٢٠	من عرف نفسه فقد عرف ربه
٤٥	اشتياق النفس الى البدن	٢٣	الكون كله مظاهر صفات النفس
٤٥	زيارة القبور (امداد المزور)	٢٣	الانسان الحقيقي على صورة الرحمن

صحيفه	صحيفه
٩٧ كرم الاخلاق ان تكون القوة	٤٨ الحكمة عند الماتريدي والاشعرية
الفكرية والغضبية الخ	٤٩ الحكمة في خلق الانسان
٩٨ العقارب والحيات من العذاب	٥٠ المحاوره بين البارى والملائكة
الروحاني	في خلافة الانسان
٩٩ العبادة تتصور بصورة حسنة	٥٠ المخلوقات ثلاثة اقسام
والعصيان بالعكس	٥٧ كيفية اتصال النفس بالبدن
٩٩ انما هي اعمالكم ترد عليكم	٦٥ العلل المؤثرة بالذات
١٠٣ العقل الفعال (العقل ومراتبه)	٦٨ الهيكل الانساني نظير العالم الاكبر
١٠٣ العقل النظرى	٦٩ المشاعر العشرة
١٠٤ العقل العملى	٧١ مدركات العقل
١٠٤ العقل فى العرف العام	٧٧ معرفة الموت والروح
١١٤ أكثر اهل الجنة البله	٨٠ اصناف عذاب القبر الروحانية
١١٧ النار تقضى	٨٤ بقاء النفس
١١٧ ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه	٩٣ الموت ولادة ثانية
ابوابها ليس فيها احد	٩٣ لزوم شكر ملك الموت
١١٨ اذا بلغ الانتقام الغاية انقلب رحمة	٩٣ حكاية تتضمن كراهة النفس
١١٨ ان الله سيعامل النفوس بما	الرجوع الى الجسد
يقتضيه شرفها	٩٥ النوم والموت ترك استعمال
١١٩ صيرورة اهل الجنة ملائكة	آلات النفس
وأهل النار شياطين	٩٦ للانسان نشأتان الحياة الدنيا
﴿ تمت ﴾	والحياة الاخرى

— تصحيح شرح القصيدة العينية —

صفحة	سطر	خطا	صواب
٨	٥	هذ	هذا /
٩	١٩	رقيق	دقيق /
٢٨	١	يقرب	يقرب /
٣٧	١٦	والبرقع	والبرقع /
٣٧	١٧	البرقع	والبرقع /
٣٩	٢٠	أفراد	أفراد /
٤٦	٧	بالتنبيه وهو مهيا	بالتنبيه وهو مهيا /
		لذلك التنبيه	لذلك التنبيه /
٥٤	١٦	العقورى	العقور /
٥٧	١٩	عهد	عهدا /
٥٨	٦	(بفراقها) متعلق بمنازل	(بفراقها) الضمير لمنازل /
٦٢	٨	فليس	ليس /
٧١	١	بالحس كقوله	بالحس وكقوله /
٧٣	١٥	هواء	هواء /
٨١	١٧	الان وصول	لان وصول /
٨١	١٩	أذا عرفت	إذا عرفت /
٨١	٢١	صلا	اصلا /
٨٣	١١	لدار	الدار /
٨٥	١٠	من عالم	عالم /
٩٣	٢١	منهما	منها /

صفحة	سطر	خطا	صواب
٩٣	٢١	ناوس	ناووس /
١٠١	١٣	بالنفيس منه ومن	بالنفيس ومن /
١١٦	١٣	شر كثير كالنار	شرا كثيرا كالنار /



(تنبيه) في السطر ٢ من الصفحة ٢٠٨ (وهي عاقبة حميدة للاعطاء)

و محابها في السطر ١ بعد خلة الفقراء X

CA
189.3
I13shA
c.2

كتاب

شرح العلامة زين الدين محمد المدعو عبد الرؤف بن
تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري
المعروف بالمتاوي المولود سنة ٩٥٢ المتوفى بالقاهرة
صبيحة يوم الخميس الثالث والعشرين من
صفر الخير سنة ١٠٣١ على قصيدة النفس
لابن سينا وفيه تعريف الروح
مقابلا على نسخة المؤلف
رحمه الله

٢

﴿ طبع على ذمة محمد راغب الفتني ﴾

﴿ بمطبعة الموسوعات بباب الشعرية بمصر ﴾
(سنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي بلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده * والصلاة
والسلام على خير أصفياه وصفوة عباده * وعلى أخوانه وخلفائه وأعوانه
وأهل واداه * وبعد * فهذا تعليق نفيس على القصيدة النفسية العينية *
المنسوبة إلى حكيم الأمة الإسلامية * عظيم العصابة الفلسفية * المنعوت بين
أهل التأصيل والتأسيس * مولانا الشيخ أبي علي بن سينا الرئيس * وقد
علق عليه جمع أجلة منهم العلامة السمرقندي فأتى بما أنبأ عن سمو محله *
وأخجل من حاول شرح الكتاب بعده وإن كان من أهله * وهو مرادى
بالشارح لكنه في ذلك الشرح المستطاب * ربما أطنب في محل الإيجاز
وأوجز في محل الاطناب * وتبع الفلاسفة على مواضع ينبوعها نظم
الكتاب * ساكتا عليها من غير تنبيه على ما فيها من الأوهام * فصارت
مزلة للأقدام * مزلة للأفهام * فسلكت في هذا الشرح جادة الاجاده *
وجردته عن الوهم والحشو والزيادة * ومن المبدئى سبحانه * استمد التوفيق
والإعانه *

﴿ ترجمة ابن سينا ﴾

ولا بدّ من تقديم مقدمة نجعل عنوانها ترجمة الناظم فنقول هو أبو علي الحسين بن علي وقيل ابن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا أصل والده من متصوفة بلخ ثم سكن بخارى فولد له الناظم في بعض قراها حفظ القرآن وهو ابن عشر ثم اشتغل بالطب والمنطق فمهر فيهما وأقرأهما وهو ابن ست عشرة سنة وقصد علاج المرضى واشتهر ذكره وصيته واتصل بخدمة شمس الدولة ثم استوزره ثم عزل وامتحن وحبس ثم أطلق وولى ومع ذلك فهو مكب على ارشاد الطلبة ثم اشتغل بالتصنيف فكان يكتب كل يوم خمسين ورقة من تصانيفه وهذا قدرها

﴿ مؤلفات ﴾

كتاب المبدأ والمعاد والاعراض الكليّة والاشارات والحاصل والمحصل والمجموع ذكر فيه سائر العلوم سوى الرياضى ولسان العرب فى اللغة عشرة مجلدات قالوا لم يؤلف مثله ومات عنه مسودة والقانون والانصاف ومختصر المحيط والنجاة والبر والاثم والشفاء والهداية والمختصر الاوسط فى المنطق وكتاب القولنج والادوية القلبية وبعض الحكمة المشرقية وكتاب القضا والقدر والآلة الرصدية وقصائد فى الحكمة وكتاب الاجرام السماوية ومختصر فى النبض بالعجمية ومختصر اقليدس واقسام الحكمة ورسائل اخوانية وسلطانية وغير ذلك وكان يدرس ليللا لاشتغاله نهائياً بامر الدولة

قال تلميذه الجوزجاني وكان سبب تصنيفه لسان العرب انه كان بحضرة الامير وقد امتلأ المجلس من اكابر العلماء فتكلم الشيخ فناظرهم وقطعهم الى

أن حانت مسألة في اللغة فتكلم فيها فقال له أبو منصور اللغوي أنت حكيم
واللغة ما نرضى كلامك فيها فوجم وعكف بعد هذا على كتب اللغة مدة إلى
أن صنف ثلاث رسائل وضمنها من الالفاظ الحوشية مالا عهد به وأرسلها
مع رسول من الأمير إلى الشيخ أبي منصور يذكر أنه وجدها في القلاة ملقاة
لما كان في الصيد فنظر فيها فوقف في أشياء منها وذلك بحضرة الشيخ فكان
كلما وقف أبو منصور في كلمة قال الشيخ هي مذكورة في باب كذا من كتاب
كذا فلما فطن لذلك اعتذر إليه

وذكره التاج الشهرستاني في كتاب الملل والنحل لما سرد أسماء فلاسفة
الاسلام فقال وعلامة القوم أبو علي بن سينا كان طريقه أدق ونظره في
الحقائق أغوص وكل الصيد في جوف القرا

وقال ابن أبي الدم في الملل والنحل لم ير أحد من هؤلاء يعني فلاسفة
الاسلام كابن نصر الفارابي وأبي علي بن سينا وأبو علي أقوم الرجلين وأعلمهما
إلى أن قال وقد اتفق العلماء على أن ابن سينا كان يقول بقدم العالم ونفى المعاد
الجسماني ولا ينكر المعاد النفساني ونقل عنه أنه قال أن الله تعالى لا يعلم
الجزئيات بعلم جزئي بل يعلمها بعلم كلي فقطع علماء زمانه فمن بعدهم من الأئمة
ممن يعتبر قوله أصولاً وفروعاً بكفره وبكفر الفارابي لا اعتقادها هذه المسائل
التي هي خلاف اعتقاد المسلمين انتهى

وقد أطلق الغزالي القول بتكفير ابن سينا وقال انه يقول بقدم العالم
وعدم علم الله بالجزئيات وعدم المعاد الجسماني ونازع بعض المتعصبين له في
نسبة ذلك إليه والنزاع فيه مكابرة والغزالي لم ينفرد بنسبة ذلك إليه بل قال
الامام الرازي في المحصل بانه وأبا نصر قائلان كارسطو بأن الاجسام قديمة

الذات والصفات قال وعندهم أن السموات قديمة بذواتها وصفاتها المعينة انتهى
وقد سمعت ما ذكره ابن أبي الدم عن العلماء فالنزاع فيه من قبيل الهديان
لكن قد وقفت له على أبيات قالها قبيل موته تشعر بالتوبة منها

نعوذ بك اللهم من شر فتنة * تطوق من حلت به عيشة ضنكا
رجعنا اليك الآن فاقبل رجوعنا * وقلّب قلوباً طال اعراضها عنك
فإن أنت لم تبرىء سقام نفوسنا * فتشفي عماياها اذن فلمن يشكى
والله الهادي * ثم قال تلميذه الجوزجاني وكان قوى القوي وقوة
المجاعة من قواه الشهوانية أقوى وأغلب فكان يجمع كثيراً فآثر في مزاجه
فاخذه قولنج فحقن نفسه في يوم واحد ثمان مرات فتقرحت أمعاؤه ثم
اعتراه الصداع فكان يدبر نفسه ثم صار يقوم ويقعد وبرا وينتكس ثم
علم أن قوته قد سقطت وأنها لا تفي بدفع المرض فاهمل مداواة نفسه
وقال المدبر الذي كان يدبر بدني قد عجز عن التدبير والآن لا تنفع المعالجة
ثم تاب واغتسل وتصدق ورد كثيراً من المظالم ولازم التلاوة وبقى على
ذلك أياماً ثم مات بهمدان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة عن ثلاث وخمسين
سنة انتهى

﴿ المقدمة ﴾

اعلم أن الحكم على الشيء يتأخر بالطبع عن تصوره فلا بد من بيان ماهية
النفس قبل الشروع في المقصود فنقول اختلف الاولون والآخرون على مرّ
الأيام والأعوام في النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله انا على زهاء
مائة قول وهم فريقان فريق ينكر تجردها وفريق يقول به والمشهور من
مذاهب المنكرين لتجردها عشرة (الاول) لابن الراوندي انها جوهر لظهور

قيامها بذاتها وغير منقسم لتعينيها بالبسائط وليست مجردة لامتناع وجود
المجردات الممكنة فتكون جوهرًا فردًا في القلب لانه الذي ثبت فيه العلم
(الثاني) انها قوة في الدماغ وفعل في القلب (الثالث) لجمع من الاطباء انها
ثلاث قوى * احداها جسم لطيف كالبخار في القوام حار معدنه القلب وهذا
ينشأ من القلب ثم ينبث في جميع البدن ويحمل قوة الحياة وهذه هي الروح
الحيوانية عندهم * الثانية جسم كالبخار لطيف القوام حار معدنه الكبد ومنها
ينشأ ثم ينبث في جميع البدن ويحمل القوى الطبيعية التي أفعالها سبعة الجذب
والمسك والهضم والدفع والتغذية والتنمية والتوليد وهذه هي الروح الطبيعية
* الثالثة جسم لطيف بخارى حار معدنه الدماغ ومنه ينبث في سائر البدن
وفعله الحس والحركة وهذه هي الروح النفسانية وهذه الأرواح يشترك فيها جميع
الحيوان ولم يثبتوا للانسان روحا لان غرضهم بيان ما يلحقه من الصحة والمرض
وان كان للانسان روح آخر فليس مداوته من جنس طب الابدان (الرابع)
انها الهيكل المخصوص وهو الروح مع الأعضاء (الخامس) انها الاخلاط
الأربعة المعتدلة كما وكيفا (السادس) انها اعتدال المزاج النوعي (السابع)
انها الدم المعتدل لأن بكثرتة واعتداله تقوى الحياة وبالعكس تضعف (الثامن)
انها الهواء اذ بانقطاعه طرفة عين تنقطع الحياة فالبدن بمنزلة الزق المنفوخ فيه
(التاسع) لعبد الملك بن حبيب انها جسم لطيف على صورة الانسان له وجه
ويدان ورجلان من داخل البدن يقابل كل عضو منه عضواً من البدن
وهذه الأقاويل * لم يقم عليها كما في المواقف دليل * وما ذكره لا يصلح
للتعويل عليه * فلا يلتفت اليه (العاشر) انها جسم لطيف نوراني علوى سار في
البدن سريان ماء الورد في الورد والنار في الفحم والدهن في اللوز لا يتبدل

ولا يتحمل حتى اذا قطع عضو من البدن انقبض مافيه الى جميع الاعضاء لا يريد الا الطاعة ولا يختار الا العبادة لا يمنعه من الدخول في المضائق فقد المسام * ولا يدفعه عن الوصول الى الحقائق بعد المقام * فهو في الممكنات اشرف الأقسام * وبه يليق ان يقال هو جسم لا كهذه الأجسام * فانه لطيف لا كالهواء الضعيف * قوي لا كالحجر الكثيف * والذي عندنا من الأجسام ان كان ضعيفاً كان لطيفاً * وان كان قوياً كان كثيفاً * والروح في زمان واحد يوجد اوله في المغرب وآخره في المشرق حتى يظن به انه في آن واحد كان في مكانين وهذا هو المختار عند جمهور المتكلمين قالوا وهذا طريق سالم لأنه مستنبط من الكتاب مستخرج من السنة * والجسم هو الذي يتلون بالوان وتشكل باشكل ويجوز كالجسم الواحد ان يرى على ألوان مختلفة فان الزجاج أبيض اذا كان مافيه أبيض وأحمر اذا كان مافيه أحمر ويجوز ان يتشكل باشكل مختلفة فان البخار يمتدوينتشر حتى يملأ الجو الواسع ويتجمع حتى يسهه مفحص قطة وما لا يكون جسمانياً لا يمكن ان يرى في لون ولا شكل وقال تعالى نزل به الروح الأمين والنزول من أوصاف الجسم انتهى * وقد قرر بعضهم هذا المذهب تقريراً حسناً فقال اعلم ان الشخص الأنساني بظاهره الكثيف جسم ظلماني زائل نام ذابل وبباطنه جسم نوراني سار في هذا الهيكل المحسوس سريان الماء في الورد والنار في الفحم باق غير قابل للزوال كامل حامل لصفات الكمال من العقل والفهم قالوا ولا يجوز ان يكون الانسان عبارة عن هذا الهيكل المحسوس كما زعمه قوم لان اجزائه أبداً في نمو وذبول أي زيادة ونقصان والانسان من حيث هو باق من أول عمره الى آخره والقاني غير الباقي فالشاراليه بأنماغير لهذا الهيكل

واختلف فيه ماهو وأسد الأقوال انها اجزاء جسمانية سارية في هذا الهيكل
سريان الماء في الورد والنار في الفحم والمحققون على ان الاجسام الباقية في
طول العمر اجسام مخالفة بالهيئة والحقيقة للجسم الذي تألف هذا الهيكل
منه وتلك الاجسام حية لذاتها مدركة نورانية فاذا خالطت البدن سرت في
هذا الهيكل وصار مستتيراً بنورها متحرراً كبحركتها وهذا الهيكل ابداناً في
ذوبان وتحلل وتبدل وتلك الاجزاء ابداناً بحالها لا يعرض لها تحلل ولا تبدل
لمخالفتها بالحقيقة والماهية هذا الجسم القالبي فاذا فسدها القالب انفصلت تلك
الاجسام النورانية والتحقت بعالم السموات والقدس ان كانت من السعداء أو
الجحيم والآفات ان كانت من الاشقياء

وفي التذكرة اذا تأملت الاحاديث وجدت النفس والروح واحداً وهي
جسم لطيف مشتبك بالجسم المحسوس يجذب ويخرج ويلف في اكفانه ويعرج
به الى السماء لا يموت ولا يفنى له اول ولا آخر له بعينين ويدين ذي ريح طيب
وخبيث وهي صفة الاجسام لا الاعراض ومن زعم ان الروح يموت ويفنى فهو
ملحد وكذا القائل بالتماسخ وانها اذا خرجت ركبت في آخر كحمار أو كلب اه
قال الجمهور وما نقرر من انها جسم هو الحق لوجوه (الاول) اننا نحكم بالكلية
على الجزئي فيلزم ان مدركهما ومدرك الجزئي منها هو الجسم ليس الا كما في جميع
الحيوانات (الثاني) ان كل واحد يقطع بان المشار اليه باننا حاضر هناك وقائم
وقاعد وما ذاك الا الجسم (الثالث) لو كانت مجردة لكانت نسبتها الى الابدان على
السواء فجاز ان ينتقل فلا يكون زيد الآن هو الذي كان والكل كما في المقاصد
ضعيف وظواهر النصوص لا تفيد القطع وأما الاستدلال بانه لا دليل على
تجردها فيجب نفيه مع ضعفه معارض بانه لا دليل على تميزها فيجب نفيه

ولهذا اختار حجة الاسلام الغزالي والامام الرازي والراغب والشهاب
 السهروردي المقتول وكثير من المسلمين ما عليه كافة الحكماء واعاظم
 الصوفية المكاشفين ذوي التجليات القدسية من انه جوهر فرد قائم بنفسه
 متعلق اولاً بروح قلمي يسرى في البدن فيفيض على الاعضاء قواها ومع
 ذلك فهو غير متحيز ولا قابل لاشارة حسية فهو من الحقائق الامكانية لا من
 الجواهر المكانية وانما تعلقه بالبدن تعلق التدبير والتصرف من غير ان يكون
 داخل فيه بالجزئية او الحلول لكن اشتغاله به كعشق طبيعي يرهقه الى تدييره
 ما دام قابلاً للتدبير وليس من ضرورة عشقه له وتأثيره فيه ان يكون حالاً فيه
 او متصلاً به كالولد اذا سقط في ماء فان الام بالطبع قد تلحق نفسها في
 الماء اشفاقاً عليه مع ان نفسها غير حالة في بدن الابن وحيث جاز على الام
 ان تعشق الولد لانه جزء من بدنها جاز على النفس ان تعشق اصل البدن وان
 لم تكن فيه * نعم انما تستعمل أعضاء البدن بواسطة الروح الذي في القلب وانما
 تقبل الروح الاثر من تدبير النفس ما دام على مزاج معتدل فاذا فسد مزاجه
 لم يقبل الاثر فيبطل تدبير النفس ويفسد مزاجه بتطرق الاختلال الى بعض
 الأعضاء الرئيسة وسائر مالا بد للقلب منه فيكون اختلال بعض الأعضاء
 سبباً لاختلال مزاج الروح وفساد الروح سبباً لبطلان استعداده لقبول تدبير
 النفس وبطلان استعداده سبباً لانقطاع تدبير النفس وتأثيره وهو المعنى
 بالموت * والقول في الكشف عن حقيقة النفس وانها جوهر قائم بنفسه ليس
 بعرض ولا جسم ولا حال في جسم طويل وبرهانه دقيق جداً لاجله كثرت
 الاغاليط فيه * وأما ما ظنه قوم تبعاً لافلاطون من انها كالشعاع الذي ينبعث
 الى الأجسام من الشمس وان النفس الكلية مع الأبدان كالشمس مع

الأرض ينتشر شعاعها على المواضع فيأخذ كل موضع نصيبه على قدره فخطأ
كما قاله حجة الاسلام قال لانهم أخطأوا في ادراك المثال فليس الشعاع شيئاً
ينبت عن الشمس لانه لو كان عرضاً كان لا ينتقل ولو كان جسماً كان لا يداخل
الاجسام ولو أشرق البيت من روزنة فسدت دفعة واحدة كان ينبغي ان
تبقى الاجسام المضيئة في البيت وادلة فساد ذلك كثيرة بل حقيقته ان النور
عرض يحدث في ظاهر الجسم الكثيف عن مقابلة الجسم له اذا كان بينهما
جسم شفاف وانما يحدث ذلك من السبب الذي يحدث منه نور الشمس فالذي
يخلق النور في الشمس يخلق الضياء في سطح الاجسام المقابلة للشمس والضوء
عرض في الجسم حال فيه ولا يحل في الهواء كما توهمه قوم بدليل ان القاعد
في غار جبل طويل لا يرى بالليل خارج الغار فاذا طلعت الشمس رآه وان كان
الهواء موجوداً خارج الغار فاذا تحقق هذا فالنفس لا كذلك لانها ليست
اعراضاً تحل في الاجسام ولا هي اجسام لطيفة تثبت مناساة للأبدان ولا
مداخلة لها* ومما تمسك به في ذلك قوله سبحانه وتعالى قل الروح من امر
ربي حيث جعل الروح من عالم الأمر وقال ألا له الخلق والأمر فعمل الخلق
غير الأمر (فالخلق والتقدير في الاشباح الظاهرة) والأمر والتقدير
في الأرواح الظاهرة (وعالم الخلق) عبارة عن كل ما يقع عليه مساحة
وتقدير وهو الأجسام وعوارضها (وعالم الأمر) عبارة عن الموجودات
الخارجة عن الحس والجهة والمكان والتجزؤ وهو ما لا يدخل تحت المساحة
والتقدير لانقاء الكمية عنه* وعلى هذا فخذ الروح كما في الألواح
العمادية انه جوهر غير جسمي من شأنه ان يدرك المعقولات ويتصرف
في الاجسام وهو نور من أنوار الله القائمة لاني أين فسبحان فاعل العجائب

بالروح النفس

واعلم ان الروح قد يطلقونه على كل جوهر ليس بجسم ولا جسماني
 فيشمل العقول والنفوس لكن يختص الروح بما لا حاجة له الى آلة جسمانية
 فيكون الروح أعلى من النفس وهو الذي يسميه الحكماء العقل (وأما النفس)
 فعندهم أجمعين سماوية وأرضية وكل منهما جسمانية ومجردة * فالجسمانية السماوية
 كالملائكة * والأرضية كالصور القائمة بمواد الاجسام وهي النفس النباتية
 والحيوانية (وأما التي ليست بجسمانية * فالسماوية منها نفوس بعدد الافلاك لابل
بعدد النجوم * والأرضية منها هي نفس الانسان التي تسمى النفس الناطقة
 ولم يثبتوا نفساً أرضية ليست بجسم ولا قائم بجسم الا هذه * غير ان جمعاً من
 المتأخرين قالوا ان (الشياطين) نفوس أرضية مجردة ثم قيل هم جماعة من
 الانس بلغوا في الشر الغاية وبالغوا في الضر والنكايه وقيل هم نوع آخر فيكونون
 قائلين بنفوس متنوعة أرضية مجردة

والفرق بين النفس والروح الذي هو العقل ان (الروح) يفعل فعله بغير
 توقف على آلة جسمانية (والنفس) لاتعمل الا بالآلات ومن ثم قالوا بالنفوس
 لاتخلق الاجسام لان عملها بالآلة جسمانية فكيف يكون لها عمل فيما لا عمل
 لها الا به

فالموجودات على مذهبهم على خمس مراتب (الاعراض) وهي
 أخسها وأدناها ولها وجود غير قائم بنفسه (ثم الأجسام) ولها وجود وقيام
 بالنفس فلا تفتقر في وجودها الى محل توجد فيه بخلاف البياض والسواد
 مثلاً (ثم النفس) ولها وجود وقيام بنفسها واستغناء عن المكان والجسم
 لا يستغني عنه فالنفس أشرف من الجسم لاستغنائها عن المكان والشرف

بالاستغناء فكما كان الشيء أغنى عن الشيء كان أشرف منه (ثم الروح) وهو العقل وله وجود وقيام بالنفس واستغناء عن المكان وهو يعمل عمله من غير حاجة الى آلة والنفس كل كمالاتها لا تحصل الا بآلاتها وهي أجسام فالنفس في فعلها تحتاج الى جسم وان كانت في وجودها لا تحتاجه والروح مستغن في عمله عن الجسم فهو أشرف (ثم الله) تعالى موجود لا يفتقر الى محل ولا يحتاج الى مكان وهو مستغن في فعله عن جميع الآلات وفي وجوده عن الموجد والروح مفتقر الى موجد يوجده فالله سبحانه هو الغني المطلق المستغنى عن كل شيء المفتقر اليه كل شيء فسبحان من اعترف الحق والمبطل بكماله وعرف المسيء والمحسن وصف جلاله

﴿التبيه الثاني﴾ كأنى بك تقول الافاضة في بحث ماهية الروح بدعة في الدين ليس من شأن العلماء المحققين والائمة المحققين كيف ولم يبينه الله لرسوله وقال قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا أى أتم خفى عليكم الا ظهر من الروح وهو أعضاءكم وأجزاءكم وجهلتم الأهم من هذه المسئلة وهو الرسالة فما بالكم تسألون عن مسئلة لا يتوقف عليها صحة الاسلام فلاشتغال بالتفتيش عما لم يبينه الله لرسوله غلو في الدين وعناد والتوغل فيما لم يرد به قرآن ولم يقم عليه برهان علو في الأرض وفساد بل تقبل بعض الإئمة الأعلام ان هذا لم يبينه الرسل الكرام قبل خاتم الأنبياء عليهم السلام

﴿فأقول﴾ قد أجاب حجة الاسلام بأن غير هؤلاء كلامهم بين ان يقبل ويرد ويصدق ويكذب وكلام الرسل ليس كذلك فان المسئلة في نهاية الغموض وأكثر الأذهان ضعيفة وربما لم تفهم فيعترض من قولهم على

قولهم فلم يوردوا فيها الا اشارات ورموزاً * وفي قوله سبحانه قل الروح من امر ربي جواب مقنع كاف لمن علم الامر على ما هو عليه ولم يكشف عنها القناع ليعلمها كل سامع لأن السائل عنها اليهود ليجادلوه لعلمهم بأن المسئلة معترك النظر وفيها اقويل مختلفة حتى اذا اجاب بجواب قالوا ليس الجواب بكذا وياتون باقوال من تقدم ولا يتم الجدل الا في محل الخلاف فاتي بالجواب مر موزاً ليعلمه العلماء بالله واقتضت المصلحة العامة منع الكلام فيه لغيرهم لأن الافهام لا تحدثه خصوصاً على طريقة الحكماء اذ من غلب على طبعه الجمود لا يقبل القول في صفة الباري ولا يصدق به فكيف يصدق به في حق الروح الانساني ولهذا انكر الكرامية ومن العامية تغلب على طبعه تجرد الاله عن الجسمية والاعراض وجعلوه تعالى جسماً اذ لم يعقلوا موجوداً الا جسماً مشاراً اليه ومن رقي عن العامية قليلاً نفى الجسمية وما أطلق أن ينفي عوارضها فأثبت لله الجهة تعالى الله عما يقول الظالون

﴿ تمة ﴾ هذا الجسم اعني الجسد يجري من النفس مجرى الثوب من البدن فان الجسد يحرك الثوب بواسطة أعضائه الظاهرة والنفس تحرك البدن بواسطة قوى خفية مناسبة وقواها تظهر في مواضع من البدن

تبلغ عشراً ع

﴿ التنبيه الثالث ﴾ علم مما مر ويأتي أن الانسان يطلق على معنيين أحدهما محسوس مشاهد يراه البصر ويحسه اللمس * عالم بالشهادة مؤمن بالغيب * الثاني النفس الناطقة والانسان الاول له لوازم وخصائص يتميز بهما عن الثاني وكذا الثاني بل أكثر أوصافه تباين الاول فان الاول ميت بطبعه والثاني حي بالذات بل هو عين الحياة والاول محسوس بالحواس والثاني لا

كانه كذا
انه تقول
من الضال
الروح في الجسم
كالماء في الوعاء
لا لا تتحرك
ع

يدرك الا بالعقل والانسان عند التحقيق هو الثاني وتسمية الاول بالانسان مجاز كما يسمى ضوء الشمس شمسا فكما أن ضوءاً قائم بالشمس تابع لها يستدل به عليها فكذا الانسان الظاهر ظل وشبح للانسان الحقيقي وتفاصيل كون الاعضاء وقواها ظلال لقوى الانسان الحقيقي مذكور في محله وكما أطلق اسم الشمس التي هي الذات على الضوء التابع لها أطلق اسم الانسان الحقيقي على المحسوس لانه مظهر أفعاله ومحل تصرفه ﴿والانسان الحقيقي﴾
 الإدراك العالم اذا خلا بنفسه وتجرد عن الالتفات الى عالم الشهادة من المحسوسات والمتخيلات وخلع بدنه بعزله عن ادراكه رأى نفسه عالماً معنويًا حياً عالماً بذاته لا يحتاج في ادراكها الى غيرها وهما يتيقن بلا ريب ويتحقق بلا مرأ أن ذاته من عالم الامر المنزه عن ادراك الحواس ولو دام مدة على هذا التجرد لانكشف عليه باب الملكوت وتجلي له قدس اللاهوت وأشرقت عليه أنوار الملكة الحافين حول العرش ورأى عرش ربه بارزاً كما أخبر به بعض الصحابة وصدق المصطفى ﴿والانسان الحقيقي﴾ هو الذي سماه الله بالنفس في قوله ونفس وما سواها وهو المراد بقول المصطفى والذي نفس محمد بيده * وهو الانسان المشار اليه في لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم * فأشار بأحسن تقويم الى الفطرة المقررة بالربوبية حيث قال ألت بربكم قالوا بلى ونلك غريزة النفس الانسانية المهيأة المستعدة لادراك حقائق الاشياء في عالم الملك والملكوت المشار اليها بحديث كل مولود يولد على الفطرة * وأشار بأسفل سافلين الى المزاج الانساني فانه أبعد المكونات عن الجسيم المطلق ﴿والانسان الحقيقي﴾ له نظران * أحدهما الى عالم الملكوت وبه يأخذ العلوم والمعارف من الملائكة الأعلى ويكلم ويحدث ويلهم ويوحى اليه عن الذوات الطاهرة الملكوتية وهذه القوة

تسمى بصيرة وللإنسان ارتقاء في مراتب البصيرة على مدارج المعارف الى
الحضرة الأحدية * الثاني الى العالم الجسماني وبه يتصرف في البدن ويتفكر
في هذا العالم المحسوس ويشاهد المحسوسات بالحواس الخمس

ثم المدرك للمعقولات وجميع المحسوسات شئ واحد وذلك ان الانسان
لا شك انه الرأى المبصر السامع الذائق اللامس المتخيل المتوهم العاقل ومعرفة
وحدانية المدرك بهذه الادراكات بديهية وانما أعرض عن التصديق بها قوم لم
يفهموا كلام أرباب النظر على وجهه حيث قالوا المدرك للمعقولات النفس
وأما المدرك للمحسوس فالقوى البدنية فظنوا انهم عزلوا النفس عن ادراك
الجزئيات وقصروا ادراكها على الكلديات حتى شنع بعض سلاطين الحكمة
على أساطين أهل النظر ونسبهم الى ضروريات انكار العقل والخطا في الفهم
لا في المفهوم (وانما القصور من اعوجاج افهامهم وذلك لان مرادهم بما قرروه
ان النفس انما تدرك الكلديات بذواتها وتدرك الجزئيات المحسوسة بواسطة
آلاتها التي هي الحواس الجسمانية وهذا كلام حق لا مرأ فيه

✽ التنبية الرابع ✽ قال العارف التلمساني اعلم ان في قوة النفس الاتصاف
بجميع الاسماء فالحسنى للمطمئنة وضدها للأمارة وهي واحدة قابلة لما تقابل
به مما هو في قوتها من الضدين فتكون بالفعل واحدة في احدي الصفتين
ولما كانت هي غاية الكون وسبباً لظهوره كانت الأسماء غير الحسنى من
مكملاتها أعنى اذا رفضتها مع القدرة عليها تنوع الكون لاجلها من مبدئه
الى منتهاه وكان لكل مرتبة منه اسم من اسمائها من كل شئ وضده فان
تفطنت رأيت للمطمئنة بعد هذا شرفاً يخصها من بارئها تنقطع عنه العبارات
وتقصر عنه الامثال والاشارات وهذا حالها وهي مبدعة فما ظنك بمن

أعطاه ذلك كله غنياً عنها هادياً لها منزهاً عن كل ماملكتها مرغبا لها فيما
عنده مما لا تعلمه نفس ولا يبيد * لهم ما يشاؤون عند ربهم ولدينا مزيد *
﴿ التنبية الخامس ﴾ قال النلمساني الشيخ عفيف الدين سليمان بن عليّ
ابن عبد الله الأديب الصوفي المتوفى سنة ٦٩٠ في شرح المواقف للشيخ
محمد بن عبد الجبار بن الحسن النغزي الصوفي المتوفى سنة ٣٥٤ النفس لا تجزأ
بذاتها وإنما تجزأ بالعرض وبحسب موضوعاتها وكلما لا تجزأ إذا اتصل بما
تجزأ صار متجزئاً بالعرض ولهذا قيل لاشيء تجزأ بالذات سوى الكم المتصل
وما عداه تجزأ بسببه لاتصاله به كاللون والحلاوة والحرارة وجميع الكيفيات
فاذا كان اللون كذلك فالنفس أولى فيقال ان جزء النفس المفكر غير جزئياً
الغضبي والشهواني ونفى بجزئها هنا الجزء من الجسم الذي يتبدى منه ظهور
فعلها * فاذا قلنا النفس لا تجزأ قلنا ذلك بقول ذاتي مرسل * واذا قلنا
تقبل التجزئة فبقول عرضي مضاف الى الجسم ونحن نرى قوة النفس غير
متجزئة والبدن كله حساس بها وهي لا تجزأ الكون كل جزء منه هي فيه بكاملها
وكذا النفس في جميع البدن وهي في كل عضو منه تامة كاملة بحسب
ذلك العضو وليست متجزئة بجزء الاعضاء وانظر الى جميع الحواس كيف
تفعل كل واحدة منها فعلها ولا تتعاقق ولا تتزاحم بل كلها تؤدي الى قوة
واحدة باطنية هي بمنزلة المركز والحواس تؤدي اليه بمنزلة الخطوط الآتية
من المحيط الى نقطة المركز من غير أن تزدحم بل تتحد كما تتحد اطراف
الخطوط عند المركز وتتكثر عند المحيط

وليست النفس في البدن كالماء في الاناء اذ يخلو منه جسم الاناء ولا
بمنزلة الحلاوة في العسل لان ذلك عرض يقوم بالموضوع مرؤس والنفس

رئيسة البدن ويقوم بها الموضوع ولهذا قيل هي في البدن بمعنى الجزء المقوم وبها يصير البدن هو ما هو ولذلك لا توصف بالانقسام ولا بالتجزء ولا بالمكان ولا بالحركة ولا بالسكون ولا بشئ من صفات الاجسام الا ان كان الوصف لها بالعرض * وليست في البدن كاجزاء في الكل والا لكانت يداً أو رجلاً ولا كالكل في الجزء فانه أشنع * ولا بمنزلة الصورة الهيولانية والا لكانت مقصورة عليه ولم يمكنها أن تنبسط فتعلم الاشياء الخارجة وتشعر بالعالم الروحاني

فها انت ترى العلم كيف قد ارا كها بالقلب ولم يعينها الا بالسلب فهي المرئية بلاعين * والموجودة لا باين * فمن أحب أن يشهد ما يمكن شهوده منها * ويستكمل بالذوق ما أخذه عنها * فليكن قائماً بالامر فانه باب الله الجامع * الواجب على الداني والشاسع * فمن ذلك أن يكون خيراً فاضلاً متطهراً من دنس الحواس وليجد حبال الحس ويجد عزيمته ويقوى همته ويسدد بصره ويرجع الى ذاته ويسافر الى باطنه فيجد عالماً مشرقاً تلاً لأضياؤه ويجد نفسه مرآة رُقم فيها العالم الروحاني بنوع بسيط واتحاد يمتاز من غير تراحم ويتفاضل من غير تحاسد وذلك أول مرقة يترقى بها الى العالم الروحاني درجة درجة وكل درجة تسهل سبيل ما فوقها حتى يصل الى حده فيكون بعد ذلك بآمن هنالك تنقطع عنه الا مثله يعني انه لا يصل اليها عبارة

فاذا رام ان يشهد ليقوى بالمثل ممثل ما استقبله من النظر عن الخبر فليعد الى نفسه فيشهد ذوقاً ما كان يسمع بعضه علماً من ان النفس بهذه المنزلة من السعة وهذا التنزيه عن الحلول وهذه الصفة من الوحدة وهذه القوة على الكثرة وانها من البدن في كل جزء وليست في جزء ولا متصلة بجزء ولا

منفصلة عن جزء ولا ذات جزء * واذا كانت كذلك وهي مبدعة فما الظن
بمن أعطاها ذلك كله ومكنها من اجابة دعوته * والاتصاف بصفته * ومن نظر
ذلك على حقيقته * وتعاهده بسريته * فهو الذي علم ان الله تعالى خلق
آدم على صورته

✽ التنبيه السادس ✽ الاشياء كلها في النفس العاقلة بنوع كلي فاذا علمت
ذاتها علمت الاشياء كلها لانها مبدعة فيها ولما كانت الاشياء كلها في النفس بنوع
كلي غلط كثير من الأوائل اذ قاسوا الباري عليها فقالوا لا يعلم الاشياء الا كلية
✽ التنبيه السابع ✽ قال الامام الرازي النفس اذا كانت مستعلية على البدن
شديدة الانجذاب عن عالم الشهوات كانت كأنها روح من الارواح السماوية
فكانت قوية على التأثير في مواد هذا العالم * وان كانت ضعيفة شديدة التعلق
بهذه اللذات البدنية لم يكن لها تصرف البتة في هذا البدن فاذا أراد هذا
الانسان الجلاء بحيث يتعدى تأثيرها من بدنها الى بدن آخر الزمها الرياضة
فقويت التأثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية ولذلك أجمعت الامة على
انه لا بد لمزاولة هذه الاعمال من الانقطاع عن مخالطة المألوفات والمشتهيات
وتقليل الغذاء والانقطاع عن مخالطة الخلق وكلما كانت هذه الامور اتم كان
التأثير أقوى فان اتفق ان النفس كانت مناسبة لهذا الأمر بماهيته
وخاصيتها كان التأثير أعظم * وسببه ان النفس اذا اشتغلت بشيء واحد استعملت
جميع قوتها في ذلك الفعل واذا اشتغلت بافعال كثيرة تفرقت قوتها وتوزعت
على تلك الافعال فيصل الي كل واحد منها شعبة من تلك القوة * فلذلك ترى
ان انسانين متساويين في قوة الخاطر اذا اشتغل أحدهما بصناعة واحدة والآخر
بصناعتين كان ذا الفن الواحد أقوى ومن حاول الوقوف على حقيقة مسألة

من المسائل فانه حال تفكره فيها لا بد وأن يفرغ خاطره عما عداها ليتوجه
الخاطر بكليته اليها فيكون الفعل أسهل وأحسن * وإذا كان الانسان مشغول
الهم أو الهمة بقضاء اللذات وتحصيل الشهوات كانت القوة النفسانية مشغولة
بها مستغرقة فيها فيضعف الفعل الغريب فأما اذا تطابقت الحواس نحو التوجه
الى الغرض الواحد كان توجه النفس اليه أقوى فيقوى التأثير

﴿ التنبيه الثامن ﴾ قال الامام الرازي النفوس اذا فارقت الابدان قد
يكون فيها ما يكون شديد المشابهة لهذه النفس المرتاضة في قوتها وتأثيراتها
فاذا صارت هذه النفوس صافية انجذب اليها ما يشابهها من النفوس المفارقة
ويحصل لتلك النفوس نوع ما من التعلق بهذا البدن والنفوس الناطقة اذا
صارت صافية عن الكدورات البدنية صارت قابلة من الارواح السماوية
والنفوس الفلكية فتقوى بانوار تلك الارواح على أمور غريبة خارقة اه

﴿ التنبيه التاسع ﴾ قال في الالواح النفس حية بذاتها مدركة لذاتها ولا
يصح أن يكون ادراكها لذاتها بصورة فان الصورة التي في ذاتك هي بالنسبة
اليها هي فكيف يكون ادراك ما هو عندك ادراكاً لاننا نيتك فذاتك مدركة
لنفسها لا بصورة لما ذكرنا ولانها جوهر مجرد عن المادة غير مبين لها ولا
غائب عن ذاته * والبارى تعالى حي عالم مجرد عن المادة ومباين لها وغير غائب
عن ذاته وعن لوازم ذاته والحي هو الدراك الفعال وواجب الوجود فعال
لجميع الماهيات مدرك لذاته فهو حي واذا أمكن أن تكون النفس عالمة بذاتها
لا بصورة فهو اولى بالوحدة والتجرد منها فقد دلت النفس على مبدعها وعلى
تجرده عن الأيون والجهات وهذا معنى حديث من عرف نفسه فقد عرف
ربه فالنفس جوهر حي قائم بذاته برىء عن المحل والمواد فقد دل الحي القائم

على الحى القيوم

﴿ التنبيه العاشر ﴾ قال التلمسانى من شؤون النفس انها كلما قل اشتغالها بالبدن انبسطت وأعطت قواها وبالعكس اذا تلبست بالبدن حتى تبقى كالبهيمة البلهاء ومن خاصيتها انها كلما ازدادت علما فعلمت به ازدادت قوة على ما هو أغمض منه وأرفع فلاهى تنحصر ولا الامر ينتهى

﴿ التنبيه الحادى عشر ﴾ الوحدة الخالصة لما فوق النفس وهناك السكون المطلق والكثرة المطلقة لما تحت النفس وهناك الحركة المحضة والنفس واسطة بينهما وامثالها للامر حركة وميلها عنه حركة فهى متحركة وفعالها كله حركة الى سكون في حركة أو سكون * فهى في هوي الى عدم مطلق أورتى الى وجود محقق وليس عدمها بالذات ولا بعدم الحياة بل بعدم ما من أجله سخرت له السموات فهى مبدعة مودعة جميع الصور مما بطن وظهر ولهذا كانت مستولية على الكل ومتحركة بالاختيار اليه وعنه فلها الوحدة من جهة مبدعها ولها الكثرة من جهة ما أبداع فيها * فاذا قطعت بالامر بقيت بوحدتها أشبه بما فوقها فهى بصفته وعلى صورته لكن من جهتها لا من جهته اذ هو فوق السكون والحركة بهويته وله وحدة لا تشبهها وحدة حقيقية فهو الواحد المبين لكل واحد عددى وطبيعى وروحانى وهو الفنى والقيوم به فكل له يؤم واليه يشتاق ومنه يستمد وعنه وجوده وبه بقاؤه فهو فوق الاسماء والصفات وفوق التمام لأن التمام هو المكتفى بنفسه ولا يقدر على ابداع شئ سواه والله هو المعطى لكل كامل كماله والمعطى لمن يعطى بنفسه لنفسه كماله

﴿ التنبيه الثانى عشر ﴾ سبيل هذا المطلب لمن أراد أن ينزع عن عالم الحس

ويرجع الى ذاته ويثبت هناك طويلا وينجم ليكون كله هناك فاذا ركزت
حواسه الظاهرة قوى على ان يحس بما لا يقع عليه الحس وذلك بمنزلة من
أراد ان يسمع صوتاً لذيذاً من مكان بعيد فاذا أنصت مصغياً اليه وتعطل عما سواه
أدرك ما يمكنه منه وهذا الحكم في كل محسوس فبالأولى ان تكون هذه
الصفة واجبة بالحاسة الباطنة فلماذا خلقت النفس فهو عليها أسهل وهي به أوصل*
ومن شروط ذلك الجهد البالغ والحضور الكامل والشوق الذي بدوامه يدوم
الدنو والتحديق وتفاض البركات فتلحظها النفس بجميعها في جميعها والنفس
البشرية لا يمكنها التحديق الا للنظر من وراء سجف الباديات لكنها اذا أعطت
ماغندها من بذل الجهد فيه تعالى اعطاها ما عنده مما أودعه فيها فكشف لها
منها عن عين كانت بالكون عمياء فعاد البصر حديداً والقديم جديداً* وذلك
غير الحركات الوهمية التي لا تسافر الفكرة الا بها وليس للوهم والفكر والتخيل
مكان تستقر فيه تلك الملحوظات فتبقى به كالمحفوظات بل انما هو ذوق تجده
النفس في حينه وتبقى قوته فيها بعد ارتفاعها من غير التصاق بتخييل أو الحاق
بتمثيل وقد كان ذلك فيها بالقوة ما ليس العدم الا هو وهو فيها بالفعل ما ليس
الوجود الا هو ولن يقدر على ذلك الا من استغرق عقله حواسه وغلب
باطنه على ظاهره وقام بالأمر في حده فبذلك عرف لا بمنطق وقياس

﴿ التنبيه الثالث عشر ﴾ القياس يصحح على العقل الملتبس بالمادة ما عساه

ان يغلط فيه كما تصحح المسطرة والبيكار على الحس الخط والدائرة فاذا تجرد
العقل عن المادة استغنى عن القياس كما هو مستغن عن المسطرة والبيكار بما فيه
من معرفة الخط المستقيم والدائرة على الصحة وسؤال لم يبحث عن السبب
وبرهان لم يعطي السبب فمن هو السبب وعنه يصدر السبب كيف يبحث عنه

الناطقة مخلوقاً على صورة الخالق وقد استحال أن يكون على صورته أبداً بمعنى
 أنه لا يقبل العدم وهذه صورة ظاهرة للعقل واجبة في الشرع وكان الانسان
 على صورة الصانع في القدرة على فعل ما يشاء فيما اليه فعله أو تركه وهو حي
 لا يموت من جهة كونه على صورة الصانع في أنه حي لا يموت لزم أن يكون
 لا يموت حياً خالداً في رُقى وهو النعيم* أو في هوى وهو الجحيم وبهذا أخبر الرسول
 وبصحته قضت العقول

﴿التنبيه السادس عشر﴾ النفس مفطورة على صورة الفاطر من جهة انها
 غيب لا يظهر الا بصفته والصفة المظهرة لها لا تكون الا متعلقة بمحدث فاذا
 ظهرت النفس بتلك الصفة المتعلقة بالمحدث تميزت وتبقى ظاهرة كظهور
 المحدث المحسوس فيكون الحكم عليها انما هو من جهة ما به ظهرت لا من
 جهة ذاتها التي هي غيب اذ تلك لا تصح الاشارة اليها

﴿التنبيه السابع عشر﴾ لو قال المحبوب لمحبه ان أحببتني فأحب
 نفسك فأحب نفسه كان قد أحب المحبوب بنفس محبته لنفسه وكذا العبد
 اذا أراد الجنة من أجل نفسه لكونه علم أن ربه يريد منه ذلك صار مراده
 لا جيل نفسه عين مراده لا جيل ربه فقد وجب عند العارف طلب الجنة
 والهرب من النار وصار الوعد كله تحفياً من كريم لا يحسن ردّها وان لم يكن
 المتحوف بها واقفاً عندها ولكن تحقق أن الوقوف مع الامر هو غاية
 القصد ليصح للواقف انه هو العبد وهذا عين ما جاءت به الشرائع وغير
 الفضول المقترح عن فساد العقول بدعوى رتبة أعلى من رتبة أرسل بها
 الرسول الذي هو بعبوديته قام على الشرف الأعلى وشهد له بذلك المولى
 ﴿التنبيه الثامن عشر﴾ قد قررنا أن النفس لا معنى لها الا ما يظهر

منه
 هذا
 صانع
 الهم انه قد
 في الانسان
 نحو من
 الهم
 الهم
 الهم

بالصفة عنها فلها الحياة من جهة بارئها اذ هي على صورته ولها الحياة من جهةها
 اذا اتصفت بصفته واذا كان اتصافها ليس الا في امثال أمره وهو عين الحياة
 ففي ضده وهو مخالفة أمره عين المات ولما كان الانسان في قوته الحياة من
 جهة ربه وله الموت من جهة نفسه عاد لا يموت في صفته لما أودع في قوته
 ولا يحيا في صفة صانعه لما باينه بصفته وهو معنى ثم لا يموت فيها ولا يحيي
 وقد خاب من دساها

﴿ التنبية التاسع عشر ﴾ النفس من جهة صانعها مجملة بكل جمال مجللة
 بكل جلال مكملة بكل كمال مصونة في خدور الاسرار محتجبة كاحتجاب
 الابكار لا تدركها الابصار ولا تكتننها الافكار فتخرجت باذن سيدها
 فقد فتحت بابها وهتكت حجابها وبدلت مالها وبدلت جمالها وهي الغائبة
 بالذات الحاضرة بالصفات فأولها آخرها وباطنها ظاهرها وأفعالها مظاهرها
 فظهورها بالمخالفة هبوط نفى عنها الجود وبالموافقة عروج أثبت لها الوجود
 ﴿ التنبية المتم العشرين ﴾ قال الامام الرازي في الاسرار هنا لطائف
 (الاولى) انه تعالى خلق الارواح من عالم الجمال والقوة العملية المدبرة للبدن
 من عالم الجلال ولولا ان الارواح مستورة بظلمات الاجساد لسجد لها كل
 كافر (الثانية) قال بعضهم خلق الله الارواح من النور والطيب والعلو والعلم
 والحياة * أما النور فلأنه مادام الروح في الجسد نورانياً فالعينان تبصران
 والاذنان تسمعان واللسان يتكلم والقلب يفهم والدماع يتفكر فهذا يدل على
 ان الروح من عالم الانوار * والدليل على انه من جوهر الطيب انه مادام الروح
 في البدن فهو مصون عن الفساد والتفريق والانحلال * والدليل على انه من
 جوهر العلوم انه مادام الروح في البدن نورانياً يكون البدن مرتفعاً عن
 (٤٠ - شرح العينية)

الارض غير ملتصق بها وكلما ازداد الروح قوة زاد الارتفاع ألا ترى ان
الانسان عند استيلاء أنوار الروحانيات على روحه يأخذ في الخفة وسببه انه
قوة روحانية فصارت تلك الروحانية جاذبة من الارض الى عالم السماء
(والانبياء لما كملت هذه الاحوال فيهم صعّدوا الى السموات قال الله تعالى في
حق ادريس ورفعناه مكانا عليا وفي حق عيسى انى متوفيك ورافعك الى
وفي حق محمد فكان قاب قوسين أو أدنى * والدليل على انه من جوهر العلم
ان محل العلم هو الروح وذلك لان من العلوم علوما علوية غيبية طاهرة
مقدسة فلا يكون محلها الا الجوهر القدسي العلوي * ودليل انه من جوهر
الحياة انه متى انقطع أثره عن جزء من أجزاء البدن صار ذلك الجزء ميتا كما
في المفلوج وان تعلق بكل البدن صار كله حيا * وبالجملة فالروح كالشمس والحياة
كالنور الفاض عن الشمس وكما ان كل جسم وصل اليه نور الشمس انقلب
من الظلمة الى الضياء فكذا كل عضو يصل اليه نور الروح تنقلب حالته من
الموت الى الحياة

﴿ التنبية الحادى والعشرون ﴾ دلالة ارتباط هذا البدن بالروح على
افتقار كل العالم الى الصانع في غاية الظهور لان هذا البدن مملكة صغيرة جدا
واذا كانت هذه المملكة الصغيرة لا يعقل استغناؤها عن ملك مطاع فيها
فكل العالم الذى هو المملكة الكبرى كيف يمكن استغناؤه عن مدبر يدبره
ومتصرف يتصرف فيه وكما ان المدبر فى هذه المملكة الكبرى يجب كونه
واحداً فكذا فى هذه المملكة الانسانية الصغرى

﴿ التنبية الثانى والعشرون ﴾ المؤمن بذاته وبصفاته علوى * أما ذاته
فلقوله سبحانه ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون يرفع الله الذين آمنوا منكم

والذين أوتوا العلم * وأما أفعاله علوية وأقواله علوية فلقوله تعالى اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه * وكتابه علوية لقوله تعالى كلا ان
كتاب الابرار لفي عليين وكلمة الله هي العليا
وأما الكافر فكله سفلي وأفعاله سفلية فجعلناهم الاسفلين كلا ان كتاب

الفجار لفي سجين

فيا أيها المؤمن العلوى لا تجعل نفسك ظلمانية بالاعراض عن الله
* واعلم * ان الروح محل العلم والموجودات ثلاثة أقسام * موجود لا يجوز
ان لا يعلم وهو الله تعالى * وموجود لا يجوز ان يعلم وهو الجماد * وموجود
يجوز ان يعلم وان لا يعلم وهو أنت أيها الانسان فان صرت تعلم شيئا فقد
تخلقت بأخلاق الله تعالى وان صرت لا تعلم شيئا فقد صرت تشبه الجماد
فامتيازك عنه والتحاقك بزمرة الملائكة المقربين انما يحصل بسبب اتصال
الروح بالبدن وبهذا ظهر فضل الروح ومنقبتها وشرفها والله أعلم قال الناظم
* هبطت اليك من المحل الأرفع * ورقاء ذات تعزز وتمنع *
* اللغة * (الهبوط) النزول يقال هبط يهبط هبوطا نزل وأهبطه الله
أنزله وانهبط انحط والهبط الوقوع في الشر قال الزمخشري ومن المجاز هبط
الرجل من منزلته وهبطوا من حال الغنى الى حال الفقر (والمحل) بفتح الحاء
والكسر لغة حكاهما ابن القطاع موضع الحلول والمحلة بالفتح المكان ينزل به
القوم (والأرفع) البالغ في ارتفاع الرتبة حسا او معنى (والورقاء) بالمدحامة
لونها لون الرماد من قولهم جمل أورق اذا كان لونه رماديا وهذا أصله ثم
توسعوا فسموا الحمامة ورقاء بأي لون كانت كما يشير اليه قول الصحاح وغيره
يقال للحمامة ورقاء لان لونها يبيض الى سواد (والتعزز) التماسك مع شرف

وتعاضم (والتنع) شدة الالباء فعطفه عليه يقرب من عطف الرديف
 ﴿الاعراب﴾ (قوله هبطت) فعل ماض والتاء للتأنيث (وقوله اليك
 ومن المحل) كلاهما متعلق بهبط * ومن في قوله من المحل ابتدائية ويبعد جعلها
 تبعيضية (والارفع) نعت للمحل (وقوله ورقاء) فاعل هبطت (وذات)
 صفة له وهو مضاف وتعزز مضاف اليه (وتمنع) معطوف عليه وجوز
 بعضهم كون ورقاء حالا من الضمير في هبطت

قال شيخنا الفاضل داود الانطاكي في شرحه عنى الله عنه وعليه تكون
 الروح هي الحماسة وهو باطل بالبدهاة قال وقول الرئيس مبالغة لكونه
 تشبيها حذف اداته وذلك ارفع انواعها والمعنى هبطت اليك كالورقاء في
 قوة وشدة النزول الى هنا كلامه

وهذا ناشئ عن الوقوف مع الذهن وخلطه الالفاظ اللغوية بالقوانين
 العرفية كيف وقد صرح أساطين المعرفة وسلاطين المتصوفة بأن الورقاء
 عندهم في عرفهم هي النفس السكية والروح المنفوخ في الصور المسواة بعد
 كمال تسويتها وأول موجود وجد عن سبب وهذا السبب هو العقل الأول
 الذى وجد لآ عن سبب غير العناية والامتنان الالهي * قالوا ولما كان للنفس
 لطف التنزل عن حظائر قدسها الى الاشباح المسواة سميت ورقاء لحسن
 نزلها من الجوّ وسيجى لذلك مزيد كذا نقله عنهم المولى العديم المثال
 الشمس بن الكمال وغيره من فحول الرجال

﴿المعنى﴾ اعلم ان الناظم جرد من نفسه شخصاً يخاطبه أو أنه سأل
 انسان من أين وصلت النفس الى هذا الهيكل فأجابه بقوله هبطت من المحل
 الاشراف الارفع الى هذا الحضيض الاخس الاوضع * وآثر الهبوط على

السقوط لان الهبوط الحركة من علو الى سفلى ممن له شعور تما والشعور
يبين السقوط وان اشتركا في مطلق الحركة اذ يقال في الحجر النازل سقط
وفيمن تنكس من أوج جبل الى سفحه سقط ولا يقال لجبريل سقط بالوحى
بل هبط * وعلى النزول واخواته لان الهبوط مشعر بضرب غض فاشعر
ببيان أن مهبطها دار عناء وبلاء وبعاد لا يخلد فيها ولا يرتاح اليها * وقد ذكر
في القاموس وغيره الهبط الوقوع في الشر * والزعم بأنه اختاره على النزول
لأنه لا يكون الا من الاعلى والنزول يكون بمعنى الحلول غلط لذهول اذ
كما ان أصل النزول الانحطاط من علو ويرد بمعنى الحلول فالهبوط كذلك
الا ترى الى قول العلامة الزمخشري هبط من بلد الى بلد انتقل وهبطوا الوادى
نزله فهما سواسية من هذا الوجه * ولهذا فسر بعض اعلام الروم
الهبوط بأنه الانحدار على وجه القهر والغلبة كهبوط الحجر قال واذا استعمل في
الانسان فعلى سبيل الاستخفاف بخلاف الانزال فان الانزال ذكره الله تعالى
في الاشياء التى نبه على شرفها كانزال القرآن والملائكة والمطر وغيرها
والهبط ذكر حيث نبه على الغض نحو قوله قلنا اهبطوا * ومن لم ينتبه الى
هذا التقرير زعم انه انما يعبر بنزل أو انتقل أو رحل لانه انما يليق بالاجسام
بخلاف هبط وهذا هلهل بالمره كيف وقد قال تعالى لا دم ومن معه اهبطوا
أهم غير اجسام

والمراد بالحل الارتفاع عالم العقول المجردة الذى تقيض منه النفوس على الابدان
عند حصول الاستعداد للفيضان فليس المراد بالحل فى عبارة الناظم المكان
الظرفى ولا الجهة الظرفية بل المراد مكان العلو والشرف كما فى قوله تعالى
يخافون ربهم من فوقهم وهو القاهر فوق عباده اذ الفوقية ليست فوقية

الجهة والمكان الظرفيين بل فوقية الشرف والتقديس
 والمراد من الهبوط الفيضان أو التوجه أو التعلق على سبيل التوسع
 والمجاز ضرورة امتناع الحركة في المجردات فسمى الفيض هبوطاً لكونه
 انتقالاً من العالم الروحاني الشريف الى عالم الاجسام الخسيس الكثيف فلما
 كان انتقالاً من عالم الروحانيات الرفيع الى عالم خسيس أطلق عليه اسم الهبوط
 * وأما قول الشارح المحقق اختار الهبوط على غيره لأن الخطاب للنفس في
 القرآن بما اشتق من الهبوط نحو قلنا اهبطوا فرد بأن هذه المقدمة مع كونها
 خطابية غير مقيدة لأن الهبوط المستعمل هنا منزل على المجاز كما تقرر وما في
 القرآن محمول على معناه الحقيقي بناء على أن النفوس الانسانية جسمانية عند
 أهل الملة ما عدا الامام الغزالي والامام الرازي وطائفة واذا لم يحمل الهبوط
 على المعنى المجازي يكون ظاهر البيت يدل على أن النفس جسم وذلك ليس
 بمذهب الناظم

قوله ورقاء برزها موصوفة مبالغة في شرفها وعلوها فان الموصوف اذا
 لم يبرز الا باوصافه تشوقت النفوس الى شرفه واعظيته الا ترى الى قوله
 سبحانه وتعالى ان المتقين في مقام أمين وما يلقاها الا الصابرون فبرزهم
 باوصافهم تفخيماً لشأنهم وتنوياً برفعة محلهم * وسمى النفس باسم الطائر دون
 غيره لانه بالقياس الى غيره من الحيوانات اقل كثافة والطف جوهرًا ولانه
 اذا ذكر الهبوط لم يحسن ان يوصف به الا الطائر ولا شيء في هذا العالم مما يتحرك
 بالارادة اتم واكمل والطف في الهبوط والصعود من ذوات الجناح فلما كانت
 الجواهر الروحانية بالقياس الى الموجودات الجسمانية موصوفة باللطافة أيضاً
 كان بينهما مناسبة من هذا الوجه ولذلك كثيراً ما تمثل الموجودات الروحانية

لاهل المشاهدة في صور طيور ذوات أجنحة وخص الحمام من بين جميع
ذوات الاجنحة لانه أكثر استئناساً بالآدميين منها ولانه موصوف بكثرة
الشوق والحنين الى الاتصال بالمفارقات والتلذذ بمصاحبة الدائمات الباقيات
وتوصف أيضاً بالشوق الدائم والبكاء اللازم كما يأتي وصفها بذلك في النظم في
قوله تبكى وقد ذكرت عهداً بالحمي

وقول الشارح انما عبر بالورقاء لانّ لونها لا يرى في الهواء لكونها
اسرع طيراناً وتضاعداً من غيرها رُددت بمنع أن غير هذا اللون لا يرى في الهواء
لان كل ملون مرعى عند توفر شروط الرؤية ولا نسلم انها أسرع من غيرها
طيراناً وان سلم فلا نسلم أن ذلك يوجب التعبير عنها بالورقاء وانما يكون ذلك
لو كانت السرعة مشتركة بينهما وتكون النفس أسرع من غيرها كالورقاء
بالقياس الى الطيور ولا يمكن المصير لذلك لان النفس من المجردات والسرعة
من لوازم الحركة وهي من لوازم الاجسام

قوله ذات تعزز وتمنع وصفها بهما وحق لها ذلك اذ من نشأ بالافق العلوى
وأبناء جنسه الملاءم القدسي وماهيته مجردة عن ممازجة المواد وملازمة الكون
والفساد جديراً أن يتعزز ويتمنع عن وصال الاخلاط الجسمانية ومقارنة الصفات
المتضادة المتنافرة وملازمة المتخللات المتلاشية وقيل أراد بكونها ذات تعزز
وتمنع أن ادراكها غير مبذول لانها غير محصورة ولا من الامور المدركة بسهولة
بل انما تدرك بالاستدلال عليها بالآثار مع دقة النظر وذكاء القرينة فادراكها
صعب جداً ولهذا قال المهندسون النظر الصحيح لا يفيد في الالهيات فان
أقرب الاشياء الى الانسان هويته وقد اختلفوا فيها اختلافاً كثيراً في انها ماهي
وكيف هي فما ظنك بالبعد الاشياء من الاوهام والعقول

﴿ تنبيهات ﴾

﴿ التنبيه الاول ﴾ قال الغزالي النفس الحيوانية هي كمال جسم طبيعي بها يحس ويتحرك وهذه النفس هي حرارة مودعة في النطفة ودم الطمث المجتمع معها في الرحم فاذا سقط المنى فيه وقبله امتزج بمنى المرأة ثم سقط على الدم فاجتمع عليه كالسمن في اللبن فعقده بحره واستمد الجزء من خارج وترايدت الحرارة الغريزية فأول ما يتكون القلب ثم تنتشر فيه العروق والعصب ويتفشى ذلك الحر في جميع اعضاء الجنين وتستمد الحر من الام والام من الاغذية فاذا بلغت تلك الرتبة استحكمت من الجود الالهى نفساً خيئند يوجد الرب تعالى قوة من عالم الامر كما قال فاذا سويته ونفخت فيه من روحي والعالم من محرك الفلك التاسع من الصفحة التي تلي جهة فوق الى التي تلي جهة اقدمنا مملوء جنوداً وملائكة وما يعلم جنود ربك الا هو * وقد تبين في العلم الطبيعي انه لا يجوز ان يكون عالم خارج الكرة التاسعة وان لا خلاء البتة وان كل موجود للبارى في هذه الكرة والنفس جوهر روحانى لطيف * ولا ينبغي ان ينكر منكر ذلك وقد شاهد شعاع الشمس وروحانيته وبساطته حتى ان قرصها يكون بالمغرب وشعاعها بالشرق فما هو الا ان يعيب خلف جبل فينقطع الشعاع الذى بالشرق بلا زمان فلو كان جسماً ما انقطع في عدة سنين واذا أخذت مرآة وعكست بها الشعاع انعكس الى حيث شئت ثم تعطفه لافى زمان وجوهر الشعاع بالاضافة الى جوهر النفس كشيء فليس في العالم موضع الا وهو معمور بما لا يعلمه الا الله ولذلك أمر الشارع بالستر في الخلوة وعند الجماع والعالم مشحون بالارواح ثم اذا بان الروح الحيوانية أوجد الله نفساً جوهرًا لطيفاً روحانياً عالماً

بالقوة من طبعه أن يعلم الامور ويعقل بذاته فيتشبهت بهذا الجسم وينشأ معه حتى لا يعرف سواه ويشتد الفه وحرصه عليه حكمة من الله تعالى تحوط الاجسام وذلك كالحديد فانه جماد فلا يتحرك الا أن يضاف اليه امر يقوى طبعه وخاصيته فلا يزال على تلك الحال حتى ينخرم ذلك النظم وتزول تلك الملازمة فلا تزال هذه النفس مع هذا الجسم والملائكة تمدها من خارج بنطق عقلي لا يعرفه الا العلماء بالله * وقد اخبر الشارع أن الخير من الملائكة والشر من الشيطان فلا بد من أثر يحصل عن الملائكة * ولما كانت النفس روحانية قبلت عن الروحاني وتأثرت عنه * ولولا العقول المعبر عنها بالملائكة الممدة للنفوس من خارج لما عقلت معقولا البتة فان النفس عالمة بالقوة فقط والملائكة تخرج ما في القوة الى الفعل حتى تصير النفس عالمة بالفعل * فأعلى طبقة الاستمداد للانبيا ثم الاولياء وذلك هو المعنى بقوله تعالى اذ ايدك بروح القدس كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وتفاوت الناس في الاخذ عن الملائكة لانهاية له ومنهم من لا يأخذ شيئاً وهم المرادون بقوله تعالى ان هم الا كالا نعمام

وانما أوجد الله النفس لامتحان الآدمي ولو أوجدها مبرأة من المادة لم يكن فيها عصيان فجعلها في مادة كما قال تعالى لينظر كيف تعملون فالنفس أهبطت لتكسب في بدنها الكمال لتلحق بالملائكة أو بالشياطين اما بالملاء الاعلى أو بالأسفل الى هنا كلام الغزالي

وقال في موضع آخر الانسان عبارة عن حيوان ناطق ضحاك منتصب القامة وهذا الحد يتناول جسمه ونفسه لضرورة الفصل بينه وبين الاشخاص الحية * ثم هذا الحيوان الناطق أعني الانسان تنقسم جملته في التقسيم الكلي

الى ثلاثة أشياء جسم وروح ونفس (فالجسم) هو المؤلف من المواد
والعناصر الحامل لنفسه وروحه وهو الشكل المنتصب ذو الوجه واليدين
والرجلين الضاحك (وأما الروح) فهو الجارى فى العروق الضوارب
والشريانات (وأما النفس) فهو الجوهر القائم بنفسه الذى هو ليس فى
موضوع ولا يحل شيئاً

ولتتكم على الجسم بمقدار مرشد الى الغرض فنقول قال تعالى ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة الآية * وقال فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي * وأخبر تعالى عن الثلاثة الأمور بانها جسم وروح
ونفس * وحقيقة الروح الحركة الغريزية المنبثة فى الاعصاب والمضلات وهى
موجودة فى البهائم وبها حياتها والفصل بين الآدمى والبهائم هو النفس التى
اضافها اليه تعالى بقوله ونفخت فيه من روحي فلو كانت للآدمى هذه النفس
دون الروح المخلوق للبهائم لقصر عن أفعال البهائم فى الاكل والجماع والتصرف
ولو أن البهائم أعطيت النفس التى أعطيها الآدمى لكانت عاقلة مكلفة تخرج
من الجملة ان للانسان روحا وجسما ونفسا وللبهائم روحا وجسما لا غير اه
وقال فى موضع آخر اذا قبل الرحم النطفة يمتزج به منى المرأة ثم ينضجه
الرحم بحرارته فيزيد تناسباً حتى ينتهى فى الصفاء واستواء نسبة الاجزاء الى
الغاية فيستعد لقبول الروح وامساكها كالفتيلة التى تستعد عند شرب الدهن
لقبول النار بامساكها الدهن فالنطفة عند تمام الاستواء والاستعداد تستحق
روحاً يدبرها ويتصرف فيها فيفيض الله فيها الروح من وجود الوجود الواجب
لكل مستحق ما يستحقه ولكل مستعد ما يقبله على قدر قبوله واحتماله من
غير منع ولا زيادة ولا بخل (فان قيل) ما الزيت الذى اشتعلت به الروح فى فتيلة

الظفة (قيل) هو صفة في الفاعل و صفة في القابل * أما صفة الفاعل فالجود
الاهلي الذي هو ينبوع الوجود وهو فياض بذاته على كل ماله قبول الجود
ويعبر عن تلك الصفة بالقدرة ومثاله فيضان نور الشمس على كل قابل للاستنارة
عند ارتفاع الحجب بينهما والقابلات هي المتلونات دون الهواء الذي لا لون
له * وأما صفة القابل فالاستواء والاعتدال الحاصل بالتسوية * ومثاله صقالة
الحديد فان المرآة التي يستر الصداً وجهها لا تقبل الصورة وان حاذتها فاذا
صقلت وحصلت المقابلة حدثت الصورة فيها من الصورة المحاذية فكذا اذا
حصل الاستواء في الظفة حدثت فيها الروح من خالقها من غير تعبير في
المحل بل انما حدثت الروح الآن بحصول الاستواء الآن لاقبله بتغير المحل
* التنبيه الثاني * هل الهبوط بالنفس من وظائف الروح الأمين عليه
السلام أو ملك آخر أو الهبوط من واهب الصور بغير واسطة قال الغزالي
يحتمل انه بواسطة جبريل وان تسميته روحا لكون صدور الارواح أي
النفوس منه بأن يجعلها الله سبحانه بواسطة قال وهذا من الفن الذي لا يعلم
تحقيقا بل تخميناً * وانما نعلم تحقيقاً ان النفوس حادثة وليس سبب حدوثها جسماً
من الاجسام بل جوهر حي قائم بنفسه ليس بمتحيز وأما اسم ذلك في الشرع
فهذا مما لا يعلم الا تخميناً * وانما تثبت بهذا الحدس قوم لا يميزون
بين التخمين والتحقيق ويظنون كل سوداء تمررة ويشغلون بما لا يعني اه * وقد
ذكروا ما يفيد الجزم بانه جبريل فانهم قالوا ان افاضة النفوس عند كمال الاستعداد
يكون من حضرة العقل الفعال الذي هو العاشر وذكروا انه الذي يسمي
بلسان الشرع جبريل

* التنبيه الثالث * وقع في كلام الغزالي في الدررة الفاخرة ان روح المؤمن

على صورة النحلة وروح الكافر على صورة الجرادة وهذا شيء لا يعرف
 ووقع في حديث الصور أن اسرافيل يدعو الأرواح فتأتيه جميعاً أرواح المسلمين
 تتوهج نوراً والأخرى مظلمة فيجمعها ويلقها في الصور ثم ينفخ فيه فيقول
 الرب تعالى لترجعن كل روح إلى جسدها فتخرج الأرواح من الصور
 مثل النحل ملأت ما بين السماء والأرض فتأتي كل روح إلى جسدها فتدخل
 فتمشي في الأجساد كالسم في اللدغ فقولوه مثل النحل ليس تشبيهاً في الهيئة
 والصورة بل في الخروج وهيئته فقط فلا ينافي ما تقدم من أن روح المؤمن
 على صورة النحلة وروح الكافر على صورة الجرادة

﴿ فائدة ﴾

زعمت الفلاسفة أن الكواكب لها نفوس كالنا نفوس وقالوا إنها حية
 ناطقة وإنها مع العالم الأعلى كنعن مع اجسامنا وإن لها الفعل الاختياري
 والاضطراري قال الغزالي وهذا ابتداء لا نكره فلم يدل على ابطاله كتاب
 ولا سنة ولا اجماع ومن أنكره فعلى طريق التعليل ولا برهان البتة فلنجعل
 ذلك جائزاً ومذهبنا أن الباري تعالى هو الفاعل المطلق مسبب الأسباب
 وموكلها بمسبباتها فسواء على مذهبنا كونها حية أم جماداً وقصارى الأمر أن
 تكون كنعن ولا نكر وجودها ولا تصرفها في عالمها فانكار هذا عونة محضنة
 وحقاقة تامة

وهي نفس
 لمفرد
 انه متوحد
 الكواكب
 لا نفوس
 وها حية
 مع كوكب
 ليس نفس
 صرحها كحصى
 حيا

مجبوبة عن كل مقلة ناظر * وهي التي سفرت ولم تتبرقع
 ﴿ اللغة ﴾ (الحجاب) كلما ستر المطلوب أو منع من الوصول إلى المرغوب
 ومنه قيل للستر حجاب لمنعه من المشاهدة وقيل للبواب حاجب لمنعه من
 الدخول وأصله جسم حائل بين جسدين ثم استعمل في المعاني فقيل العجز

حجاب بين الرجل ومراده والمعصية حجاب بين العبد وربّه * قال الزمخشري
ومن المجاز احتجبت الشمس في السحاب وهتك الخوف حجاب قلبه (والمقلة)
وزان غرفة شحمة العين التي يجتمع فيها السواد والبياض كذا في الصحاح
وفي المصباح شحمة العين التي تجمع سوادها وبياضها ومقلته نظرت اليه ورجل
مقلة بوزن صرعة يكثر المقل أي النظر * قال الزمخشري ويقال في خطه حظ
لكل مقلة كأنه خط ابن مقلة وفلان كلما دور القلم نور المقل وجلى العقول وحل
العقل ومقلته بعيني وما مقلت عيناى مثله (والنظر) تأمل الشئ بالعين ونظرته انظره
نظراً ونظرت اليه أيضاً أبصرته والفاعل ناظر والجمع نظارة والناظر السواد الاصغر
من العين الذي يبصر به الانسان شخصه ونظرت في الأمر تدبرت وقال بعضهم
يتعدى الى المبصرات بنفسه وبالي ويتعدى الى المعاني بفي ففي قولهم نظرت في
الكتاب هو على حذف معمول تقديره نظرت المكتوب في الكتاب (والسفر)
بالسكون الكشف وسفرت الشئ سفراً من باب ضرب كشفته وأوضحته
وسفرت المرأة سفوراً كشفت وجهها فهي سافر بغيرهاء وأمرأة سافر ونساء
سوافر وسفرت برقعها عن وجهها وما أحسن مسفر وجهه ومسافر وجوههم
* قال الزمخشري ومن المجاز وجه مسفر مشرق سروراً وجوه يومئذ مسفرة
وسفرت الريح عن وجه السماء وسفر عن وجهك الستر (والبرقع) ستر
الوجه بخرقة منقوبة على محاذاة العينين كما يفيد كلام المطرزي وغيره والبرقع
وزان قنفذ خريقة تشقب للعينين ثلبسها الدواب ونساء الاعراب قال وأما البرقة
بالهاء كما في شرح المختصر فأخص من البرقع أن صحت الرواية ومنه فرس
أغر مبرقع أي أبيض جميع وجهه وفي المصباح البرقع ما تستر به المرأة وجهها
وفتح الثالث تخفيف ومنهم من أنكروه وبرقت المرأة بستها البرقع والمراد

بستر الوجه في عبارة الناظم ستر الذات على حد كل شيء هالك الا وجهه
 ﴿الاعراب﴾ قوله محجوبة خبر مبتدا محذوف تقديره هي يعني
 النفس محجوبة ولك نصبه على الحال وايماءً كان فقوله (عن كل) صفة لها لأن
 الظرف اذا وقع بعد نكرة محضة كان صفة لها أو معرفة كان حالاً وبعد محتملها
 يحتملها (ومقلة) مضاف وناظر مضاف اليه وقوله (وهي التي) مبتدا وخبر
 وجملة (سفرت) صلة الموصول وعطف عليه (ولم تبرقع) عطف جملة على جملة
 ﴿المعنى﴾ قوله محجوبة أي ممنوعة عن الادراك بالحواس الظاهرة فكل
 من رام ادراكها بالقوة المودعة في ملئق العصبين المفترقتين الى العينين التي
 تدرك بها الالوان والاضواء بانطباع شبح المرئي في حيز من الرطوبة
 الجليدية يرجع بصره خاسئاً وهو حسير لأنها لما كانت في ماهيتها مبرأة عن
 ممازجة المواد منزهة الحقيقة عن الكون والفساد تعالت عن ادراك الابصار
 وتقدست عن احاطة الافكار اذ امتناع الادراك البصري لشيء اما أن يكون
 لان ذلك الشيء غير قابل للابصار أو يكون لمانع من الادراك وان كان
 الشيء قابلاً للابصار فالثاني ما كان مادياً كالأجسام والاول ما كان مجرداً في ماهيته
 عن المواد كالأول تعالى والعقول المقدسة والنفوس الناطقة فلذلك استحال
 الادراك لماهياتها وما هو كذلك لا يحتاج في عدم ادراكه الى مانع وفي
 حصول ادراكه الى ارتفاع ذلك المانع لكنها تدرك بنظر العقل فكأنها بحسب
 الادراك مكشوفة غير محجوبة عنه فمعنى كلام الناظم أنها متعالية عن الادراك
 بالحواس مع كونها جلية ظاهرة لكل عاقل من الناس لأنها شديدة الظهور
 عند النظر الى آثارها وأفعالها الدالة عليها * وتعبه بعضهم بأنه ان أراد بانها
 مكشوفة أنها ظاهرة الانكشاف كما يصفونها من كونها مجردة عن المادة

استدلالاً من أفعالها فهو ممنوع لجواز كون مصدرها جسمانياً كما هو مذهب المتكلمين * وان أراد أنها معلومة الماهية فممنوع لأن حقيقتها غير معلومة عند أكثر العقلاء اه * ونوزع بما فيه تعسف * وفي نسخة بدل قوله ناظر عارف فيدخل غيره دخولاً أولياً لأنه اذا كان العارف بالعقل الاكمل والطباع التام والتحرى الاشمل عاجزاً عن ادراكها فغيره أعجز * ولكنها مع كمال الخفاء وشدة الغموض مدركة بالعقل فهي واضحة جلية لمن يريد معرفتها بطريق البرهان قد أفصح من عرفها واستكملها وخسر من ضيعها وجهلها كما قال تعالى قد أفصح من زكاتها الآية * قال السهروردي وقد ورد فيمن يجهلها قوله تعالى نسوا الله فأنساهم أنفسهم مع قوله ان الله يحول بين المرء وقلبه والقلب هنا اشارة الى النفس لا الى العضو المعروف * وهذه النفس التي نسميها الناطقة قد ورد فيها في التنزيل مثاني منها قوله تعالى ثم سواه ونفخ فيه من روحه وقوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي * وهذه الاضافة تؤذن بشرف النفس وكونها جوهراً الهياً وقوله قل الروح من امر ربي والامر هو الفارق فالنفس امره ونوره والكل مستعبد بالاضافة الى الربوبية * وهذه هي التي أشار اليها المصطفى بقوله اني أبيت عند ربي يطعمني ويسقين * وهي التي في الرفيق الاعلى * واياها عنى على كرم الله وجهه بقوله ما قلت باب خبير بقوة جسمانية بل بقوة ملكوتية وبنفس بنور ربها مرضية * واياها عنى أبو يزيد بقوله انسلخت من جسدي فرأيت من أنا * وقوله طلبت ذاتي في الكونين فما وجدتتها * واليها أشار الخلاج بقوله تين ذاتي حيث لا اين * وقوله عند صلبيه حسب الواحد افراد الواحد والى معادها أشار بقوله

اقبلوني يا ثقتي * ان في قلبي حياتي

وحياتي في مماتي * ومماتي في حياتي

واياها عني بقوله

هيكلي الجسم نوري الصميم * صمدى الروح ديان عليم
عاد بالروح الى أربابها * فبقى الهيكل في التراب رميم
واليها أشار بعض أ كابر الصوفية بقوله الصوفي مع الله بلا مكان وحاله
أنه كائن بائن * واليها أشار المسيح عليه السلام بقوله تشبهوا بابيكم السماوي
وبقوله أبي وأبوكم فقد نسب النفس الكلية الى القدس واليها عني لما قال
لا يصعد الى السماء الا من ينزل منها * وورد في حق المصطفى في التنزيل
دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى * ولولا تجرد نفسه من الحيز لما صح
دنوها من عديم الحيز تعالى

✽ واعلم ✽ أن الانسان يتبدل عليه جسده ولا يتبدل المدرك لذاته فيه وقد
يبقى نوعه دون كثير من الاعضاء فان القلب والدماع والاعضاء الباطنة
يحتاج في معرفتها الى تشريح وأنت تشعر بذاتك مع غفلتك عن جميع الاعضاء
فهى مبينة للكل لانك دائم الذكر لها حين نسيت الكل وكيف يعقل
الشيء وتنسى أجزاءه فليس شيء من هذه الاعضاء بجزء لك
✽ وأيضاً ✽ تقول أنت تشير الى مخاطبك بذلك وتشير الى ذاتك بأنا
وتفرد أنا نيتك عن جميع ما في البدن وتشير الى الغائب بهو وتخيله منفرداً
عنك * ولا يمكنك أن تفرد ذاتك عن ذاتك وتشير الى نفسك بهو

✽ تنبيه ✽ قال الغزالي (فان قيل) لم لا ترى النفس فان في رؤيتها ما يدل
على صحة وجودها وهلا تخيلها (قلنا) هنا مسئلتان الواحدة لم لا ترى والثانية
لم لا تتخيل (والجواب عن الاولى) من وجوده * الاول أن كل موجود ليس

من شرطه أن يرى اذ صحة وجود الموجود لا تستدعي كونه مرئياً فان الاحوال
اللازمة للشيء اما أن تكون ذاتية أو عرضية والوجود وشرطه من الاحوال
اللازمة للشيء وكونه مرئياً عرض له اذ يثبت وجوده مع عدم من يراه
فينتج من ذلك انه يثبت الموجود ولا يبطل وجوده عدم الرؤية له والدليل
عليه وجود الله تعالى في الازل لا الى نهاية ولم ير حتى الآن وذلك لا يبطل
وجوده نعم يستدعي الموجود أن يثبت له ما يصح وجوده والشيء قد يستدل
عليه اما بقضايا عقلية واما باثر يثبت بالحس فيقضى عليه وقد شاهدنا آثار
النفس وعلمنا أن في أجسادنا معنى يزيد عليها بالضرورة اذ يبقى الجسم ولا
روح فيه ويكون الجنين تاماً في الشهر الرابع ولا روح له فوجود أنفسنا
ثابت بالضرورة* الجواب الثاني أن المرئي يجب كونه من الرائي في جهة وعلى
مسافة ويكون قابلاً للالوان اذ هي العلة للمبصرات والنفس لا تقبل الالوان
من أمور تجتمع* الجواب الثالث ان المرئي لا بد أن يكون في حيز وقد قام
الدليل العقلي على ان القوة العقلية لا حيز لها فافهم (والجواب عن الثانية) ان
الموجودات على ثلاث مراتب* الاولى موجودات تعقل ولا ترى وهي العقول
فهي مدركة بالعقل لا البصر* الثانية النفوس وهي مدركة بالعقل ويجوز أن
ترى* الثالثة الاجسام وهي تدرك بالعقل وبالبصر ولا تدرك هي أنفسها ولا
غيرها فما نشاهد من العالم انما هو اجسام النفوس والعقول وحقبة الملك انما
هو نفسه لا جسمه كما ان حقيقة الانسان نفسه ولا يدرك الا جسمه فقط
فهو لا يدرك نفسه بل انقطعت العقول في ادراك ماهية نفسه بالبصيرة
فكيف بالبصر الى هنا كلامه

وصلت على كره اليك وربما * كرهت فراذك وهي ذات توجع

﴿ اللغة ﴾ (قوله وصات) أى بلغت تقول وصلت الشيء من باب واعد
 ووصل اليه يصل وصولاً أى بلغ موصل بمعنى اتصل ووصل الشيء بغيره
 فاتصل وتوصل ناطف في الوصول اليه (والكره) بالفتح المشقة وبالضم القهر
 وقيل بالفتح الاكراه وبالضم المشقة وأكرهته على الامر اكرهاً حملته عليه
 قهراً يقال فعلت قهراً كرها بالفتح أى اكرهاً ومنه قوله تعالى ثم استوى
 الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض انيا طوعاً أو كرهاً فقابل بين الضدين
 قال الزجاج كل ما فى القرآن من الكره بالضم فالفتح فيه جائز الا قوله كتب
 عليكم القتال وهو كره لكم وحيثند فقول الناظم على كره بضم الكاف ويصح
 ان تفتح (والفراق) اختصاص بجهة عن حقه ان يتصل به ويكون معه ذكره
 الحرالى (والتوجع) التألم من الوجع والوجع يقع على كل مرض والمتوجع المريض
 المتألم* وفى نسخة بدل قوله توجع تفجع وهو بمعناه فى الصحاح الفجعة الرزية
 وقد فجعت المصيبة أى أوجعته وتفجع له توجع

﴿ الاعراب ﴾ (وصلت) فعل وفاعله مستتر (واليك) متعلق به (وعلى
 كره) صفة لوقوعه بعد نكرة محضة (ورب) مكفوفة بقوله (ما) (وكرهت)
 فعل وفاعله مستتر (وفراقك) مفعول (وهى) مبتدا (وذات) خبر مضاف
 (وتوجع) مضاف اليه (والواو) فى وهى ذات للحال وصاحبها ضمير كرهت
 ﴿ المعنى ﴾ أفاد الناظم بهذا البيت مسئلتين (الاولى) ان النفس انما
 اتصلت بهذا الهيكل مكرهة مقهورة بمعنى أنها فاضت من المبدأ الفياض عند
 كمال استعداد المادة فيضاً ضرورياً يستحيل تأخره (الثانية) انها بعد اتصالها
 به ربما كرهت فراقه* أما كونها مكرهة فلان النفس المجردة المنزهة عن
 السكورات الطبيعية لا تجانس الأبدان المادية المظلمة والمؤانسة بين الاشياء

بحسب المناسبة والملايمة ولذلك قيل الجنسية علة الضم ولا مجانسة هنا لان
 النفس والروحانيات من عالم الامر والبدن والجسمانيات من عالم الخلق ولا
 مجانسة بين النوراني والظلماني بل هما ضدان متنافران متباينان ولكل منهما
 أشياء تلايحه وتكمل حاله وأشياء تنافره وتفسد حاله على عكس مالاخر مع
 ان النفس حال الصدور لا تدرى ان كمالها العقلية تتوقف على استعمال القوى
 البدنية فليس تعلق النفس بالبدن الا بطريق القهر والاجلاء* ولهذا قال العارف
 أبو الحسين بن الخراز لما قيل له بماذا عرفت الله قال بجمعه بين الضدين
 فسبحان فاعل العجائب مبدع الهويات ومظهر الآيات اله العالم واهب الحياة
 له الامر واليه الاياب تبارك الله أحسن الخالقين* وأما كونها تكره فراقه
 فلانها بعد تشبها به يكون تعلقها به حينئذ غير ضعيف بحيث يسهل زواله
 بأدنى سبب مع بقاء المتعلق بحاله كتعلق الجسم بمكانه والامتكانت النفس من
 مفارقة البدن بمجرد المشيئة من غير حاجة الى أمر آخر وليس هو أيضاً تعلقاً
 في غاية القوة بحيث اذا زال التعلق بطل المتعلق مثل تعلق الاعراض والصور
 المادية بمجالها لما عرفت من ان النفس متجردة بذاتها غنية عما تحمل فيه بل
 هو تعلق متوسط بين بين كتعلق الصانع بالآلات التي يحتاجها في أفعاله
 المختلفة ومن ثم قالوا انه كتعلق الماشق بالمعشوق عشقاً جبلياً الهامياً فلا ينقطع
 مادام البدن صالحاً لان تعلق به النفس فلذلك تجبه ولا تمه وتكره مفارقتها
 وان طالت الصحبة لتوقف كمالها ولذاتها العقلية والحسية عليه فانها في مبدا
 خلقها خالية عن جميع الصفات الفاضلة فاحتاجت الى آلات تعيينها على
 اكتساب الكمالات والى ان يكون لتلك الكمالات آلات مختلفة فيكون
 لها بحسب كل آلة فعل خاص حتى اذا حاولت فعلاً خاصاً كالبصير مثلاً

التفتت الى العين فنقوى على الابصار التام واذا حاولت السمع التفتت الى
الاذن فنقوى على السمع وكذا الحال في سائر الافعال ولو اتحدت الآلة
لاختلطت الافعال ولم يحصل لها منها شيء على الكمال فاذا حصلت لها
الاحساسات توصلت بها الى الادراكات الكلية ونالت حظها من العلوم
والاخلاق المرضية وترقت الى لذاتها العقلية بعد احتوائها باللذات الحسية
فتملقها بالبدن على وجه التصرف والتدبير وبذلك استثبت لها الرئاسة في المملكة
الانسانية بعد ان كانت خاملة في الملاء الاعلى وصارت عارفة بعد ان كانت
ساذجة ومتحركة فيما يلايمها بعد ان كانت ساكنة فتملقها بالجسد كتعلق
العاشق بالمعشوق في القوة بل أقوى بكثير ولهذا اذا أخذ البدن في الانحلال
تهيأت للحوقها بعالمها ولذلك تجرد روح الهرم المسن أسهل خروجاً من
بدن لم يشرع في التحلل لبقاء كمال عشقها له فاذا حدثت مقدمات خراب
الهيكل وانحلال تركيبه حصل لها كرب وهول لم يقع لها نظيره من قبل
وجهدت في دفع المرض وجلب الصحة فيكون حرصها على تديره حينئذ
شاعراً لها عن التهيؤ لرفعها الى الملكوت الذي دنا عودها اليه * ثم ان كراهتها
للفراق تارة تكون طلباً لاكتسابها به الفضائل التي هي سبب السعادة
الابدية وتارة تكون حرصاً على اللذات الجسمية والشهوات البهيمية وايشار
ما في عالم الملك والشهادة على ما في عالم الملكوت والغيب فلماذا كان أهل
السعادة وأهل الشقاوة عند دنو الموت في غاية التوجع والتفجع غالباً
* وأشار الناظم بقوله ربما التي هي على الاصح للتكثير كثيراً وللتقليل
قليلاً الى انه يقع لبعض النفوس انها لا تتركه فراق هيكلها وهم من هذبتة
الرياضة والمجاهدة حتى خلص من العوائق البشرية والسكودورات القلبية

وغلبت روحانيته على جسمانيته فانه لا يكره فراقها بل يتمناه بل بعض الحكماء
كان ينسلخ عن هيكله ثم يعود اليه * قال السهروردي قد شاهد المجردون
انفسهم بانسلاخهم عن هياكلهم كهرمس وسقراط وصرح أكثرهم بأنه شاهد
نفسه في عالم النور * وحكى افلاطون انه خلع الظلمات وشاهد نفسه وحكماء
الهند والفرس على هذا قاطبة قال وصاحب هذه الاسطر كان شديداً في انكار
ذلك لولا أن رأى برهان ربه ومن لم يصدق فعليه بالرياضة وخدمة أهل
المشاهدة فعسى يقع له نفحة بها يرى النور الساطع في عالم الجبروت والآثار
القدسية في عالم الملكوت * وحكى افلاطون عن نفسه انه يصير في بعض
أحواله بحيث يخلع بدنه ويصير مجرداً عن الهيولى ويرى في ذاته النور والبهاء
ثم يرتقى الى العلة الالهية المحيطة بالكل فيصير كأنه معلق بها ويرى النور
العظيم في الموضع الشاهق اه من هذا حاله لا يلتفت الى فراق روحه لبدنه

﴿ تنبيهات ﴾

﴿ التنبيه الاول ﴾ قال الناظم في كتاب زيارة القبور تعلق النفس بالبدن
عظيم جداً حتى انها بعد المفارقة تشتاق وتلتفت الى الاجزاء البدنية المدفونة
فاذا زار انسان قبر آخر وتغاضى عن العلائق الجسمانية والعوائق الطبيعية
توجهت نفسه الى العالم العقلي فتواجهه نفسه نفس الميت ويحصل بينهما
المقابلة كما في المرآتين فيرسم فيها صورة عقلية بطريق الانعكاس ويحصل
لها بذلك كمال اه * وقد ذكر النزالي نحو ذلك مع زيادة بسط وتحقيق فقال
المقصود من زيارة الانبياء والاوياء والائمة الاستمداد من سؤال المغفرة
وقضاء الحوائج من ارواحهم والعبارة عن هذا الامداد الشفاعة وهذا يحصل
من جهتين الاستمداد من هذا الجانب والامداد من ذلك الجانب ولزيارة

المشاهد أثر عظيم في هذين الركنين أما الاستمداد فبانصراف همهمة صاحب
 الحاجة عن أموره العادية باستيلاء ذكر المزور على الخاطر حتى تصير كلية
 همته مستغرقة في ذلك ويقبل بكليته على ذكره وخطوره بباله وهذه الحالة
 سبب منبه لروح ذلك الشفيح أو المزور حتى تمد روح المزور الطيبة ذلك الزائر
 بما يستمد منها ومن أقبل في الدنيا بكليته وهمته على انسان في دار الدنيا فان
 ذلك الانسان يحس باقبال ذلك المقبل عليه خبره بذلك فمن لم يكن في هذا
 العالم فهو أولى بالتنبيه وهو مهياً لذلك التنبيه فان اطلاع من هو خارج عن
 أحوال العالم على بعض أحوال العالم ممكن كما يطلع من هو في المنام على
 أحوال من هو في الآخرة أهو مثاب أم معاقب فان النوم صنو الموت وأخوه
 فبسبب النوم صرنا مستعدين لمعرفة أحوال لم نكن مستعدين في حال اليقظة
 لها فكذا من وصل الى دار الآخرة ومات موتاً حقيقياً كان بالاطلاع على
 هذا العالم أولى وأحرى * فاما كلية أحوال هذا العالم في جميع الاوقات فلم
 تكن مندرجة في سلك معرفتهم كما لم تكن أحوال الماضين حاضرة في معرفتنا
 في منامنا عند الرؤيا * ولا يجاد المعارف معينات ومخصصات منها همهمة صاحب
 الحاجة وهي استيلاء ذكر صاحب تلك الروح الزيرة على صاحب الحاجة وكما
 تؤثر مشاهدة صورة الحي في حضور ذكره وخطوره نفسه بالبال فكذا تؤثر
 مشاهدة ذلك الميت ومشاهدة تربته التي هي حجاب قلبه فان أثر ذلك الميت
 في النفس عند غيبة قلبه ومشهده ليس كأثره في حال حضوره ومشاهدة قلبه
 ومشهده ومن ظن انه قادر على أن يحضر في نفسه ذلك الميت عند غيبة
 مشهده كما يحضر عند مشاهدة مشهده فذلك ظن خطأ فان للمشاهدة أثراً
 بينما ليس للغيبة مثله * ومن استعان في الغيبة بذلك الميت لم تكن هذه

الاستعانة أيضاً جزافاً ولا تخلو من أثر ما كما قال المصطفى عليه الصلاة والسلام
 من صلى على مرة صليت عليه عشرا ومن زارني حلت له شفاعتي فالتقرب
 بقلبه الذي هو أخص الخواص به وسيلة تامة متقاضية للشفاعة والتقرب
 بولده الذي هو بضعة منه ولو بعد توالد وتناسل والتقرب بمشبهه ومسجده
 وبلده وعصاه وسوطه ونعله وعضادته والتقرب بعبادته وسيرته وبماله مناسبة
 إليه يوجب التقرب إليه ومقتضى لشفاعته فإنه لا فرق عند الانبياء والاولياء
 في كونهم في دار الدنيا وكونهم في دار الآخرة الا في طريق المعرفة فان آلة
 المعرفة في دار الدنيا الحواس الظاهرة وفي العقبي آلة بها يعرف الغيب اما في
 صورة مثال واما على سبيل التصريح واما الاحوال الاخر في التقرب والتقرب
 والشفاعة فلا تتغير والركن الاعظم في هذا الباب الامداد والاهتمام من جهة
 الممد وان لم يشعر صاحب الوسيلة بهذا المدد فانه لو وضع شعر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أو سوطه أو عضادته على قبر عاص أو مذنب لنجا ذلك
 المذنب ببركات تلك الذخيرة من العذاب وان كان في دار انسان أو بلد لا
 يصيب سكانها بلاء وان لم يشعر بها صاحب الدار وساكن البلد فان اهتمام
 النبي صلى الله عليه وسلم وهو في العقبي مصروف الى ما هو له منسوب ودفع
 المكاره والامراض والعقوبات مفوض من جهة الله تعالى الى الملائكة وكل
 ملك حريص على اسعاف ما حرص النبي صلوات الله عليه بهمة اليه عن غيره
 كما كان في حال حياته فان تقرب الملائكة بروحه بعد موته أزيد من تقربهم
 بها في حال حياته الى هنا كلامه

ولترجع الى ما نحن بصدده فنقول قد علم مما تقرر آنفاً ان تعلق النفس
 بالبدن شديد وبه يعرف ضعف ما ذهب اليه الشارح من انها انما تكره

فراقه اذا لم تحصل السعادة لاشعاره بانها اذا حصلت كالاتها لا تتركه مفارقتها
 لكن تحصيل جميع الكمالات غير ممكن في الدنيا فهي كيف ما كان تتركه
 فراقه لكن هذا غالبي كما تقدم * وقول الشارح انما تتركه المفارقة لانها
 باللذات الحسية من المآكل والمشارب وبلوغ المقاصد والمآرب وترأسها على
 الحواس وبعثها للجنود والحراس فحصل لها بذلك هوى للجسمانيات * رد بأنه
 لا يناسب القواعد العقلية لما تقرر في الاصول الحكيمية من ان انس النفس
 انما هو بالامور العقلية واما باللذات الحسية من حيث ذاتها فلا لانه انما
 يحصل لغلبتها على العقل كما في البله ومن غابت عليه القوى الشهوية والنفسية
 والنكرية حتى استغرقت نفسه في اللذات الحسية

﴿ التنبيه الثاني ﴾ قال الامام الرازي في الاسرار حكمة خلق الانسان
 للعلماء فيها طريقتان اجمالية وتفصيلية (وقبل الخوض في بيان ذلك نين معنى
 الحكمة فنقول

﴿ الحكمة ﴾

عند الماتريدية بمعنى اتقان العمل أي خلق كل شيء على ما هو الاولى به
 ووضعه في محله اللائق به صفة أزلية لله تعالى ومن هنا قالوا أفعاله تعالى لا تخلو
 عن حكمة بمعنى ماله عاقبة حميدة وضدها السفه (وذهب الاشعرية الى أن
 الحكمة بالمعنى الاول ليست صفة أزلية لله تعالى لانها تؤل الى كونها صفة
 فعل وصفات الافعال عندهم حادثة وفسروا الحكمة اللازمة لافعاله تعالى
 بوفوع الشيء على قصد فاعله وضدها السفه (وعلى هذا الاختلاف ينبنى
 الاختلاف في تعليل قوله تعالى لا يسأل عما يفعل) فعند الماتريدية لانه حكيم
 بمعنى انه يفعل ماله عاقبة حميدة وان كنا نجعل حمد عاقبة بعض أفعاله

وعند الاشعرية لانه المالك المطلق والمالك المطلق يفعل كيف يشاء ولا يُسأل عما يفعل * ولكل من الفريقين وجهة * فالما تريدية على قدم روح الله عيسى عليه السلام حيث قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم لم يمدحه على التعذيب ومدحه على المغفرة حيث ان الحكمة للعزيز القادر تقتضى المغفرة لاؤلك المذنبين ووجهه ان معاقبة المذنب انما هي لردعه عن العود لمثل ذلك الذنب أو لزرع غيره عن الوقوع في مثله أو للتشفي من المذنب وفي الآخرة لا يتأتى عود المذنب لذنبه ولا اقراره غيره مثله ولا فائدة للبارى تعالى في تعذيب من خلقهم ضعافا وصرح بذلك حيث قال وخلق الانسان ضعيفا ووضع فيهم الشهوة وجعلها غالبية على عقولهم فضلا عن كونه قدر ذلك عليهم ازلا * والاشعرية على قدم كليم الله موسى عليه السلام حيث قال ان هي الافتتاك ولم يردّ البارى عليه واذ قد وضع معنى الحكمة فالمراد بها هنا ماله عاقبة حميدة ولنعد لبيان الطريقتين في حكمة خلق الانسان فنقول

✽ الطريقة الاجمالية في حكمة خلق الانسان ✽

هي المذكورة في قوله تعالى للملائكة انى أعلم ما لا تعلمون وتقريرها انه تعالى قادر على جميع المقدورات منزّه عن كل الحاجات عالم بكل معلوم فكان عالما بما ينبغى فعله وما ينبغى تركه فكل ما يفعله حكمة وصواب وانه منزّه عن فعل العبث فله في خلق البشر حكمة بالغة واسرار شريفة لم يكشف تفصيلها للبشر فنؤمن بذلك اجمالا وتترك الخوض في تفصيله

✽ الطريقة التفصيلية في حكمة خلق الانسان ✽

وفيها وجهان (الاول) ان المخلوقات اقسام ماله عقل ولا شهوة له وهم

الملائكة وما له شهوة ولا عقل له وهو كالحيوان غير الانسان وما له شهوة
 وعقل وهو الانسان فان رجحت شهوته على عقله التحق بالبهائم بل كان أضل
 وان رجح عقله عليها التحق بالملائكة وما لا عقل له ولا شهوة وهو الجماد
 * ثم انه تعالى كان في العهد الاقدم والزمان الاسبق خلق الاقسام الثلاثة وبقي
 الرابع فاقنضت قدرته ومشيتته الكاملة خلقه كيلا يبقى شئ من الاقسام
 الممكنة محروماً من جود ايجاده ونعمة ابداعه فعند ذلك قال للملائكة اني
 جاعل في الأرض خليفة الآية فقالت الملائكة اذا جمعت فيه بين الشهوة
 والغضب والفكر جاءت المنازعة فتولد الفساد من الشهوة وسفك
 الدم من الغضب والجربزة والخداع والمكر من الفكر لدى الافراط فيها فقال
 مدبر العالم اني أعلم ما لا تعلمون وان كان القتل والفساد والخداع يحصل
 كثيراً لكن الأثر عدمه وحصول العبودية والتدلل خير كثير وترك
 الخير الكثير لاجل شر قليل شر كثير فعدم الترك أي جعل الخليفة في
 الارض هو اللائق بحكمتي (الثاني) المخلوقات ثلاثة أقسام * اما ارواح
 قدسية نورانية بلا جسد وهم الملائكة ولذلك سباهم الله في القرآن ارواحاً
 وأيدناه بروح القدس نزل به الروح الأمين * واما اجساد بلا ارواح
 وهي المعدن والنبات والحيوان ولا يقال للحيوان روح لان مرادنا بالروح
 الروح اللطيف التي تقوى على ادراك المعقولات * واما مركبة من الارواح
 والاجساد السفلية والأزدواج بين الارواح النورانية الربانية اللطيفة والاجساد
 الظلمانية الكشيفة فحصل من ذلك الازدواج الانسان ففسده من عالم
 الخلق وروحه من عالم الأمر فلا جرم قال الله تعالى ألا له الخلق والأمر وجعل
 جسده بالتسوية وروحه بالنفخ وبين تعالى ان طاعة البدن الاشتغال بالعبادات

وطاعة الروح التوكل على رب الأرض والسماوات
 ﴿ ثم ﴾ ان دلائل كمال القدرة وجلال الحكمة في خلق هذا النوع أتم
 وأكمل وبيانه من وجوه (الوجه الاول) ان الروح علوى والبدن سفلى
 والعلو والسفل ضدان والروح نورانى والبدن ظلمانى والنور والظلمة ضدان
 والروح لطيف والبدن كثيف واللطافة والكثافة ضدان والروح سماوى
 والبدن أرضى والسما والارض ضدان والروح رحمانى بدليل انه لا يرغب
 الا فى معرفة الله ولا يفرح الا بخدمته ولا يميل الا الى محبته ولا يتبرج الا
 بمطالعة أنوار جلاله ولا يطمئن الا بذكره ولا يستقر الا على عتبة كبرياء قدسه
 والبدن شهوانى شيطانى لا يغتنى الا بدردى العالم الجسمانى ولا يفرح ولا
 يقوى الا بالانغماس فى الشهوانيات والظلمانيات فحصل بين الروح والجسد
 منافرة عظيمة ومباينة تامة فالجمع بينهما يدل على كمال قدرته (الوجه الثانى) ان
 الشوق الى الله تعالى مقام شريف وفيه لذة عجيبة وهذا المقام غير حاصل للبشر
 لان الشوق لا يتصور الا الى شئ يدرك من وجه دون وجه ومالا يدرك
 أصلا لا يشتاق اليه فان من لم ير شخصاً ولم يسمع بوصف كماله لا يشتاق
 اليه ﴿ والشوق الى المحبوب ﴾ على وجهين * الأول انه اذا رآه ثم غاب
 عنه بقى فى خياله اثر تلك الصورة المحسوسة واشتاق الى انتقال ذلك الاثر
 من عالم الخيال الى عالم الحس * الثانى انه يرى وجهه محبوبه ولا يرى بقية
 محاسنه فيشتاق الى كشف ما لم يره وهذا الوجهان غير متصورين فى حق
 الملائكة لان ذلك انما يمكن اذا أدرك ثم غاب وعرفان الملائكة حاصل لهم أبداً
 لا يتبدل لا بالغفلة ولا بالغيبة لعدمهما فاحوالهم باقية ومعارفهم دائمة وهم محفوظون
 عن تغيرات الاحوال وتبدلات المعارف بخلاف الانسان فان الذى تجلى

للمعارفين من الامور الالهية وان كان في غاية الوضوح والجلال لكنه مشوب
 بشوائب الخيالات وهي مكدره للمعارف وانما تمام التجلي في الآخرة حيث
 تزول الخيالات فهذا أحد نوعي الشوق الممثل له برؤية المحبوب ثم غيابه عن
 المحب * واما القسم الثاني الممثل له برؤية وجه المحبوب دون بقية محاسنه فهو
 المعارف الالهية فانها لانهاية لها فاذا رأى بعضها واشتاق لرؤية ما بقى يتعذر حصول
 ذلك له لانها لا تنكشف لكل عبد ولو ان العارف خلق أول وقت حدوث
 العالم ثم سار باسرع سير في درجات المعارف الالهية بل طار حول سرادق الجلال
 اشد طيران الى آخر وقت يتخيله الخيال ويستحضره العقل كان الحاصل من طيرانه
 وسيره متناهياً ويكون ما لم يصل اليه غير متناه واذا كان كذلك فالقسم الاول
 يزول في الآخرة وأما القسم الثاني من الشوق الى الله تعالى فلا يزول البتة
 بل كلما كان السير أكمل وأكثر كان الشوق أعظم * وحيث ذكركم من بقى
 على حالة واحدة فان كانت تلك الحالة موجبة للذة ثم بقيت فعند استمرارها
 لا تبقى لذة وكذا ان كان مؤلماً لا يبقى مؤلماً فاللذة والالم لا يحصلان الا عند
 الانتقال من أحد الجانبين الى الآخر * مثاله من المحسوس ان المملوك ونحوهم
 المتنعمين المتوسعين في أكل الاشياء اللذيذة لا يلتذون بها وكذا الفقير الذي
 لا يأكل الا الحشن الخبيث ولم يأكل طيباً لا يتألم به وأما الذي يأكل غالباً
 الحشن واتفق له انه أكل طيباً فانه يلتذ به للغاية وبعكسه الذي يأكل طيباً
 غالباً واتفق له أكل الحشن فانه يتألم به * اذا عرفت هذا فنقول الملائكة
 المقربون وان كانت درجاتهم في العرفان عالية لكنها باقية مستمرة فهم
 كالمملوك المتنعمين وان كانوا مواظبين على الاعتناء بانوار الجلال والاستنشاق
 من نسيم روح الله لكن لم يبق لهم انتقال عن هذه الدرجة وما وقعوا في

ظلم المعاصي وانكشاف ظلمات الانوار * والحيوان حاله كالفقراء المواظبين على الصبر أو الجوع والعري فلا يكون لهم ألم مما هم فيه * وأما الانسان فتارة يقع في ظلمات الاجسام وتارة يخلص منها الى انوار عالم القدس وسبجات سرادق الجلال فينتقل تارة من الشدة الى الرخاء وعكسه فاذا انتقل من الرخاء الى الشدة ومن الابتلاء الى النعمة عظم التناذره فيحصل هناك من اللذات والسعادات مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولما كانت أسباب هذه اللذة الغيبية بعد الحضور والحضور بعد الغيبية متعاقبة على الارواح البشرية في الدنيا واللذة اذا حصلت بحيث يكون قبلها فقدان وبعدها توقع حرمان كان الالتذاذ بها اشد وأكمل فهذا النوع من السعادة الحاصل للانسان غير حاصل للملائكة المقربين ولا للحيوانات أجمعين (الوجه الثالث) ان بخلق الملائكة ظهور القدرة والحكمة لان كمال قوتهم يدل على كمال قدرة خالقهم وكمال عصمتهم يدل على كمال قدس خالقهم * وأما بخلق البشر فظهر كمال الوجود وكمال الرحمة لانه لا مناسبة بين التراب وبين جلال رب الارباب ثم انه برحمته وكرمه جعله مركز المحبة ومعدن المعرفة يحبهم ويحبونه ولانه مع كثرة معاصيه أظهر منه انواعاً من العجائب فاودع في قلبه ذوق عرفان جلاله واجري على لسانه ذكر توحيدده وجعل عينيه محلاً لبصار دلائله وأذنيه محلاً لسماع كلامه فالملائكة بهم قد ظهرت القدرة والحكمة والبشر بهم قد ظهر الوجود والرحمة (الوجه الرابع) ان الملائكة خلقوا من النور اما آثار التركيب في البشر فاكثر لانه خلق الانسان من جوهرين الروح والبدن واظهره من اثنين الأم والأب وركبه من منى ودم وجعل له مطيتين الليل والنهار وغذاءه بغذاءين الطعام والشراب وأعد له دارين

الجنة والنار كل ذلك ليتحقق صدق ومن كل شيء خلقنا زوجين (الوجه الخامس) ان العبد يعرف ربه بالقدس والعظمة وصفات الجلال والاكرام مع انه أبعد الاشياء مشابهة له ومشاكلته ثم انه لا يعلم روحه ونفسه مع انه هو كما قال تعالى قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا ليعلم العبد أن كل ذلك بسبب مدد التوفيق والارشاد لا بحسب الجد والاجتهاد

﴿ واعلم ﴾ ان المخلوقات ثلاثة أقسام (الأول) كلمة لا يتطرق اليهم نقصان وهم أرباب العالم العلوي أجسادهم السموات وأراحهم الملائكة (الثاني) ناقصة لا تطرق اليها الكمالات وهي الحيوان والمعدن والنبات (والثالث) ما يكونون تارة كاملين وتارة ناقصين * فاذا صاروا في حد الكمال كانوا حول العرش حافين مع الملائكة المقربين في حضرة رب العالمين معتكفين على عتبة عز الله مواظبين على ذكر جلاله مستغرقين في محبته متفكرين في المعارج اليه متوكلين على رحمته مشتغلين بخدمته محترقين بنور عظمته * واذا صاروا في حد النقصان ينزلون الى مقام الشهوة والغضب والفكر مع الافراط فيها * ففي مقام الشهوة تارة يكونون كالخنزير أجمع ثم أرسل على النجاسات وتارة كالذباب الذي كلما ذبّ أب الى القاذورات * وفي الغضب تارة كالكلب العقور ~~في~~ وأخري كالجمل الصؤول وتارة كالنار المحرقة والبحار المغرقة * وفي الفكر تارة يكونون كالثعلب في المكر والخداع والمرادغة وتارة كالذئب في الختل فالانسان مع كونه شخصاً واحداً يصدق عليه انه ملك نوراني أو شيطان ظلمي وخنزير حريص وجمل صؤول وكلب نابج وثعلب مراوغ وذئب خبيث * ولا شك ان تركيب شخص واحد تظهر منه هذه الآثار المتناقضة والأحوال المتباينة أدل على كمال القدرة وأظهر في اظهار الحكمة

فلذلك قال تعالى انى اعلم ما لا تعلمون

﴿ ثم ان ﴾ الانسان الموصوف بهذه الصفات بعث الى هذه الدنيا ليكون مسافراً قال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه الناس سفرة والدنيا دار ممر لا مقر ويظن انها مبدأ سفره والآخرة مقصده وسنوه منازلته وشهوره فراسخه وايامه أحماله وانفاسه تسير بعمره سير السفينة براكيها وقد دعى الى دار السلام وهى أشرف البقاع وأعز المواضع لكن الطريق اليها مظلم جداً فهو برحمة الله يهتدى اليه وبفضله يرشد والله تعالى بكرمه يستميل المسيء اليه وبجوده يعفو عن المذنبين فلهذا المعنى قال انى اعلم ما لا تعلمون فهذا تمام البيان فى حكمة خلق الانسان

انفت وما أنست فلما واصلت * أنفت مجاورة الخراب البلقع
 ﴿ اللغة ﴾ (قوله أنفت) أي استنكفت وتعاضمت من أنف من الشيء أنفاً من باب تعب والاسم الأنفة بفتحين كقصة وهى الاستكبار وأنف عنه نزه عنه (والانس) بالضم ضد الوحشه تقول انست به انساً من باب علم وفى لغة من باب ضرب واستانست به وتأنست به اذا سكن القلب اليه ولم ينفر منه (والمواصلة) ضد المهاجرة تقول واصلته مواصلة ووصالاً (والألفة) بالضم اسم من الأتلاف وهو الالتئام والاجتماع (والمجاورة) المساكنة والجار والمجاور الملاصق فى المسكن والاسم الجوار بالضم وقد يكسر والجار الحليف أيضاً (والخراب) ضد العمار تقول خرب المنزل يخرب فهو خراب ويتعدى بالههزة والتضعيف فيقال أخربته وخربته واخربوا البلاد وخربوها

﴿ الاعراب ﴾ (قوله انفت فعل والفاعل مستتر (وما) نافية (وانست)

فعل والفاعل مستتر (فلما) حرف وجود لوجود (واصلت) فعل وفاعله مستتر
 (التفت) فعل وفاعله مستتر (وقوله مجاورة) مفعول وهو مضاف (والخراب)
 مضاف اليه وهو مضاف أيضاً (والبلقع) مضاف اليه

﴿ المعنى ﴾ (قوله أنفت الى آخره) يريد أنها لما هبطت الى هذا
 الهيكل أعرضت عنه احتقاراً له وصلاحاً عليها لكونها من الموجودات
 الشريفة العالیه التي لا تقبل الفناء ولا تمازج الظلمات فكيف تتآلف مع من
 يورثها خساسة المقام والصفات ويخرجها الى الوقوع في الآفات أوله نطفة
 مذرة وآخره جيفة قدرة وهو فيما بين ذلك حامل العذرة يتصل الغائط بيده
 كل يوم مرة أو مرتين ويشاهد الحباث والقاذورات منفصلة منه بالعين فالمناسبة
 من أين وما وقع بعد هذا من الأتلاف فلغوارض مررت الاشارة اليها فبالحرى
 انها لم تأنس به بل نفرت واستكبرت فتجدها منزلة لا يلايمها القرار على
 خلاف الطبع ولا الاستقرار على غير الوضع واستمرت المنافرة بينهما برهة
 حتى عرفت انه آلة لها في تحصيل كمالها وتأملت مواقع التركيب ونظرت الى
 هذا الهيكل العجيب الذي هو مع كونه الجرم الاصغر احتوى على ما اشتمل
 عليه العالم الاكبر واشبهه ذاتا ووصفا فعند ذلك أنست به لما فقهت ما بينه
 وبين العالم العلوى الذي أهبطت منه من المناسبة فتنازلت الى التشبه به والتحيل
 على كيفية الاقامة معه فلما بدا التمازج وقامت شهود حصول المراد ووضح
 الطريق وقام الدليل على التحقيق تمكنت منه واطمأنت اليه آخذة ما قدر لها
 بحسب ما وافق من الطالع والطواع والاتصالات الفلكية والتشكلات
 الكوكبية الحادثة بخلق الله تعالى وتقديره ولذلك قويت العلاقة واشتدت
 الملازمة مع علمها بأنها انما هي مجاورة للخراب البلقع لا يلوثة البدن الى الفناء

على كل حال وانحلال الأجزاء وتفرق الاوصال
وعلم مما تقرر أن المراد بالخراب البلقع البدن سماه به لخلوه عن التصورات
أو لكونه قابلاً للفساد والبطلان فعبر بكونه خراباً عما يؤول إليه أمره فهو
مجاز مرسل علاقته الأول فسقط ما قيل وصف البدن بالخراب حال تعلق
النفس به غير قوي فانه في هذه الحالة ليس على هذه الصفة

﴿ واعلم ﴾ أن الناظم سمي اتصال النفس بالبدن مجاورة وهو قول متعقب
بالرد * فقد قال الامام الرازي في المطالب اختلف في كيفية اتصال النفس
بالبدن فقال قوم مجاورة وردّ بانه يلزم انفكاكها كل وقت اختياراً والواقع
خلافه * وقال قوم اتصاها كالنار في الشمعة وردّ بانه يلزم عليه أنه لو نفع
انسان في وجه آخر افتراقاً كما يكون عند ارادتنا اطفاء الشمعة * وقال سقراط
كسريان الدهن في الزيتون والسمسم * وصرح حجة الاسلام كالحكماء بانه
جوهر مدبر للبدن لكن لا داخل البدن ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل
عنه لأن مصحح الاتصاف بالاتصال والانفصال الجسمية والتحيز وقد انتقيا
وانما يتعلق من البدن أولاً بالروح القلبي المتكون في جوفه الأيسر من
بخار الغذاء ولطيفه فان القلب له تجويف في جانبه الايسر يجذب اليه لطيف
الدم فيبخره بحرارته المفرطة فذلك البخار هو المسمى بالروح عند الاطباء
وعرف كونه أول متعلق النفس بأن شلل الاعضاء يبطل قوى الحس والحركة
مما وراءه موضع الشلل ولا يبطلها مما يلي جهة الدماغ

وأظنها نسبت عهود بالحمى * ومنازلاً بفراقها لم تقنع

﴿ اللغاة ﴾ (الظن) اسم لما يحصل عن امارة مرجحة فان قويت جداً
أدت الي العلم وان ضعفت جداً لم تتجاوز حد الوهم (والنسيان) ترك الشيء

عن ذهول وغفلة (والعهد) والمعاهدة المحالفة والمعاقدة (والحى) بالكسر
المحمى الذى لا يقربه أحد احتراماً لمالكه (والمقنع) والقناعة الرضى بالقليل
﴿ الاعراب ﴾ (قوله أظنها) فعل وفاعله مستتر (وها) مفعول أول
(ونسيت) فعل وفاعله مستتر (وعهودا) مفعوله وجملة الفعل والفاعل من نسيت
فى محل نصب مفعول أظن الثانى (وقوله) بالحمى متعلق بعهوداً (ومنازلاً)
معطوف على عهوداً (بفراقها) متعلق بمنازل (لم تقنع) جازم ومجزوم
﴿ المعنى ﴾ أخذ يتعجب من شدة اتصالها وركونها لغير جنسها وانتسابها
بالكنه والكلية الى غير الملايم المبين فى زعمها لطبعمها واشتداد محبتها وعمليها
على مقتضاه فما وجد لذلك محملاً غير نسيانها لتلك العهود أى المواثيق المأخوذة
عليها بقوله تعالى واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم الآية وقوله تعالى
الم أعهد اليكم يا بنى آدم الآية ونسيت منازل أرباب حضرة القدس واخلاق أبناء
الجنس واخوان الصفا * وقيل معنى نسيانها لعالمها المناسب لجوهرها الذى هو
العالم العقلى اعراضها عنه وعدم التفاتها نحوه وتوجهها اليه * وقوله بفراقها لم تقنع
أى انها عند تعلقها بالبدن لم تقتصر على نسيانها لعالمها واعراضها عنه بل زادت
على ذلك النسيان عشقها للمادة المركبة الآيلة للفناء وشغفها بها وذلك يتعجب
منه * وقال بعضهم معنى البيت عجب كيف رضيت بالادنى عن الاعلى واعتاضته
وأظنها لم ترض بذلك وهى على الصفة التى كانت عليها من الفيض الاقدس
بل تغير ادراكها من ظلمات التركيب والشغل بتدبير الهيكل فلذلك نسيت
ما كانت فيه من الاشرف الارفع والنور الابدي المستحيل عليه الفناء مع
ما بينهما من التضاد لكن استيلاء العشق وشدة الاختلاط تصنع العجائب
ولهذا قال المصطفى أبغض اله عبداً من دون الله الهوى ولو أنها تذكرت

العهد المأخوذ عليها يوم ألتست بربكم والحى المتموج بتلك الانوار لما كان ذلك
لكن ملاقة الكشائف ومجاورتها غيرت ادراكها حتى فضلت ما هو آيل
الى الفساد على ما هو بالعكس وباليتمها اكتفت بذلك أى نسيانها العهد بل
اتخذت ما اتخذته مألفاً ولم تقنع بفراق تلك العهود والمنازل وكراسى الاشعة
ومزايا الخواطر ولطائف الروحانيات المعبر عنها فى لسان الشرع بالملائكة
﴿ تنبيه ﴾ هذه البيت وما قبله وما بعده من نحو قوله تبكى الخ صريح أو
كالصريح فى ان النفس الناطقة كانت موجودة قبل الاتصال بهذا البدن متعلقة
بالمجردات لان تذكرها عهوداً بالحى والمنازل التى لم تقنع بفراقها ونحو ذلك
كالصريح فيه لكن لا يلزم من ذلك كونها قديمة كما وهمه بعض الشراح
زاعماً انه يناقض ما عليه الناظم مخالفاً لافلاطون من حدوثها وهذه المسألة من
المهمات التى يتعين بيانها فنقول

اتفق المليون على ان النفس الناطقة حادثة اذ لا قديم عندهم الا الله وصفاته
عند من أثبتها زائدة على الذات * ثم اختلفوا فى انها هل حدثت مع حدوث
البدن أو قبله * فقالت طائفة معه لقوله تعالى بعد تعداد أطوار البدن ثم أنشأناه
خلقاً آخر والمراد بذلك الانشاء افاضة النفس على البدن * وقال بعضهم بل
قبله لقوله عليه السلام فيما رواه الديلمى وغيره خلق الله الأرواح قبل الأجسام
بالنى عام وغاية هذه الادلة الظن دون اليقين المطلوب فى هذا الفن أما
الآية فلا مكان أن يريد بقوله ثم أنشأناه جعل النفس متملقة به وانما يلزم من
ذلك جعل حدوث تعلقها لاحدوث ذاتها واما الحديث فلانه خبر واحد ومعارض
الآية وهى مقطوعة المتن مظنونة الدلالة والحديث بالعكس فكل رجحان
من وجه فيتقاربان * واما الحكماء فاختلفوا فى حدوثها فقال أفلاطون انها

قديمة لان الحادث لا يكون أبديا ولا عن المحل غنيا فلوم تكن الناطقة أزلية لم تكن
 أبدية * والجواب المنع * وقال ارسطو ومن تبعه انها حادثة قال الغزلي في المعراج
 وهو مذهب ابن سينا وكونها حادثة لوجوه (الأول) انها لو كانت قديمة لكانت
 قبل التعلق معطلة ولا معطل في الوجود بخلاف ما بعد المنارفة فانها لا يقال لها
 معطلة لانها ما في رَوْح وريحان أو عذاب ونيران (الثاني) انه اذا حدث للبدن
 مزاجه الخاص فاضت عليه نفس تناسب استعداده لعموم الفيض والمشروط
 بالحادث حادث (فان قيل) فيلزم انتفاؤها بانتفائه (قلت) نعم هو شرط
 الحدوث لا الوجود وانما وجدت بعد فنائه لما قدّمنا من استيفائها الجزا النعيم
 أو العذاب * واعترض على استلزام قدميتها كونها قبل التعلق معطلة بان المترصد
 لا كتساب الكمالات لا يكون معطلا وبأن المزاج شرط التعلق لا الحدوث
 ولم يجب عنه (الثالث) وهو العمدة أنها بعد التعلق متعددة قطعاً قبله ان كانت
 واحدة فالتعدد بعد الوحدة منافي للتجرد المستلزم للقدم أو مستلزم للمطلوب
 وهو الحدوث وان كانت متعددة فتمايزها بالماهية ولو ازمها ينافي التماثل وبما
 يحل فيها كالشعور بهويتها مثلا يستلزم الدور وبالعوارض المادية بأن تتعاقب
 الابدان لا عن بداية تستلزم التناسخ وقدام الجسم وهو باطل وأما بعد المفارقة
 فالامتياز باق بما حصل لكل من الخاص وأقلها الشعور بهويتها (قال ارسطو
 وكل حادث لا بد له من استناد الى المبدأ القديم الواجب دفعا للدور والتسلسل
 ومن شرط حادث لثلا يلزم تخلف المعلول عن علته التامة فلحدوث النفس من
 المبدأ الفيض شرط هو حدوث البدن لأنه القابل المستعد لتدبيرها وتصرفها
 فاذا حدث البدن فاض عليه نفس من المبدأ الفيض ضرورة عموم الفيض
 ووجود القابل المستعد وبه أبطال التناسخ لانه لو أحدث بدن وتعلقت به

نفس متناسخ وأفيض عليه نفس أخرى حدث الآن لما تقرر من حصول
العلة المؤثرة بشرطها فيكون للبدن الواحد نفسان وهو باطل بالضرورة فإن
كل أحد يجد أن نفسه واحدة ويقطع بأنه ليس معها في هذا البدن مدبر
آخر ولا لها تدبير في بدن آخر فهما على التعادل ليس لبدن نفسان ولا لنفس
بدنان لا معاً ولا على البديل

(واعترض) في المواقف ما ذكره ارسطو بأنه دور صريح لانه بين
أن حدوث النفس يلزمه التناسخ على تقدير قدمها وابطاله ثم بين بطلان
التناسخ بحدوث النفس * وانما يصح له ذلك لو بين احدهما بطريق آخر
مثل ما يقال في ابطال التناسخ بأنه يلزم أن يتذكر شيئاً من أحوال البدن
الاول لان استعداد الأبدان للنفوس وتكونها على وتيرة واحدة فانه كلما
استعد بدن حدث نفس بخلاف مفارقة النفوس مع حدوث الابدان اذ قد
يتفق وباء أو طاعون أو حادثة مستأصلة كطوفان أو قتل عام يهلك فيها من
النفوس دفعة ما يعلم بالضرورة انه لم يحدث في ذلك الزمان بخلاف العادة ذلك
المبلغ من الابدان كما نقل انه وقع حرب بارض نوقان فقتل في يوم واحد
مائتا الف من الجنابين ومعلوم انه لم يحدث في ذلك اليوم ابدان بهذا العدد
في جوانب العالم تتعلق بها تلك النفوس المفارقة لابدانها فلو كان تعلق النفوس
على طريق التناسخ لزم تعطل بعضها الى أن يحدث بدن يتعلق به * وليس
شيء منهما يصلح للتعويل عليه اذ لا نسلم لزوم التذكر لأحوالها في البدن
المتقدم عنه لجواز كونه مشروطاً بالتعلق به * على انه نقل عن بعضهم انه
قال اني لأتذكر كوني في صورة جمل * ولا نسلم أن عدد أبدان الحيوانات
الصغيرة والكبيرة في البحار والبراري لا تساوي عدد تلك النفوس المفارقة

﴿ وعلى أصل الدليل الذي أبطل به التناسخ اعتراضات مثل ما يقال لا نسلم
 ان كل حادث لا بد له من شرط حادث فان الفاعل المختار له أن يخص
 الحوادث بأوقاتها من غير أن يكون هناك داع وهذا لا يستلزم التخلف عن
 العلة * سلمناه لكن لا نسلم ان شرط حدوث النفس هو البدن ولم
 لا يجوز أن يكون له شرط غيره * سلمناه لكن لا نسلم انه اذا حدث بدن
 وجب أن يفاض عليه نفس انما يجب ذلك اذا لم تتعلق به نفس مستنسخة *
 قال في المقاصد والذي ثبت من مسخ بعض الكفرة قرده وخنزير و من ردّ
 النفوس الى الابدان المحشورة فليس هو من المتنازع في شيء * وما يحكيه
 بعضهم من أن النفوس الكاملة تتصل بعالم العقول والمتوسطة باجرام سماوية
 أو أشباح مثالية والناقصة بابدان حيوانات تناسبها فيما اكتسبت من الاخلاق
 وتمكنت فيها من النيات متدرّجة في ذلك الى أن تخلص من الظلمات بما
 لقيت من أنواع العذاب والسكرات فالنصوص القاطعة في باب المعاد تكذبه
 * ثم انهم يصرفون اليه بعض الآيات كقوله تعالى نحن قدّرنا بينكم الموت
 وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشأكم فيما لا تعلمون مع ان هذه
 الآية اختلف المفسرون في أن مدلولها كائن في الدنيا أو سوف يكون يوم
 القيامة على انها من الآيات الواردة في أصحاب النار وزعمهم انها تشير الى
 التناسخ افتراء على الله والله أعلم ﴿ تمة ﴾ لم يلتزم الناظم في هذه القصيدة الترتيب
 وكانت قضيته أن يذكر أولا كيفية المفارقة للعالم العلوي ثم الوصول للعالم
 السفلي ثم اطوار الاقامة مقدما الأهم منها فالأهم فيذكر أولا نظرها في نشؤ
 البدن الى أن يستقل بغاياته ثم اكتسابها ما به رفعها في عليين ثم عودها الى
 اصلاحه في الطور الثاني كما جرى على نحو ذلك في حكمة الاشراف والهداية

وغيرها

حتى اذا اتصلت بهاء هبوطها * من ميم مركزها بذات الاجرع
 ﴿اللغة﴾ (الاتصال) ضد الانفصال (والمركز) وسط الدائرة وموضع
 الثبوت (وهاء) من حروف أبجد والمراد بها مبدأ ما أضيفت اليه (والهبوط)
 معلوم وهو هنا بمعنى اسم المكان أى مهبطها (والاجرع) مذكر الجرعاء
 وهي رملة لا ينبت فيها شئ ولا يستقر فيها الماء وقيل المكان الاجرع الذى
 أرضه مختلطة من طين ورمل وأرضه أثقل من غيرها من الاراضى وذات
 الاجرع أيضاً محل بوادى العقيق تهب فيه رياح لينة مزجت بما رُوح به
 البيت العتيق كانت العرب تتخذة منزهاً ومرتعاً وربما كنوا به عن المعشوق
 في تغزلاتهم

﴿الاعراب﴾ (حتى حرف ابتداء أو حرف غاية وجر والمغيا
 ما ذكر في البيت الذى قبله من نسيانها عهداً بالحى وعدم قناعتها بذلك (واذا)
 بخائية وجوز بعضهم كونها شرطية وجملة اتصلت على الاول فى محل جر بحتى
 وعلى الثاني فى محل جر باضافة اذا اليها (وقوله بهاء) جار ومجرور متعلق
 باتصلت مضاف (وهبوط) مضاف اليه وهبوط مضاف (والهاء) مضاف
 اليه وعلقت الآتى جوابه (وقوله من ميم مركزها) متعلق بمحذوف
 تقديره منفصلة من ميم مركزها وقوله بذات الاجرع متعلق بقوله اذا
 اتصلت بدل من بهاء هبوطها وجعله الشارح وصفاً لذلك المركز كما يأتى

﴿المعنى﴾ حتى اذا انفصلت من ميم مركزها أى من أعلى عالمهاذ الميم
 فى حروف المركز أعلاها من حيث انها مبدأ اللفظ واتصلت بهاء هبوطها
 بمعنى مهبطها أى مبدئها اذ الهاء مبدأ الهبوط والمراد به جسد الانسان

علقت به مع انه مؤلف من الكثيف كالرمال ولا ينشأ منه الكمال كذات
الاجرع وبهذا يكون قوله ذات الاجرع استعارة تصريحية لجسد الانسان
والنكتة المبالغه في سرعة تعلقها به حيث كان في حال اتصالها بمبدئه قبل أن
تستقرأ لمنتهاه وهذا مبنى على أن قوله الآتى علقت بها ثاء الثقيل مقلوب
عن علقت بشاء الثقيل لأن الذي يوصف بالتعلق في مبداء نفع الروح هي لا هو
﴿ وقال ﴾ ابن الكمال قوله بهاء هبوطها من ميم مركزها انما هو على
منهج الاستعارة وسلوك طريق الخطابة والمراد انها اتصلت في هبوطها بالمركز
الاسفل أى البدن وسماه أسفلا لانه من العالم الاسفل وعنى بقوله بذات
الاجرع المادة الارضية الكثيفة التي تعلقت بها النفس وهي البدن لان
الارض الجرعاء أ كشف من غيرها من الاراضى ولما كانت المادة البدنية
بالتقياس الى الموجودات العقلية كثينة وصفها بكونها جرعاء لكثافتها وثقلها
بالتقياس الى الروحانيات

﴿ وقال ﴾ السمناني المراد بهاء الهبوط المواد الجسمانية وبميم المركز العالم
الروحانى وعبر عن المواد الجسمانية بهاء الهبوط لانحطاط رتبها بالتقياس الى
المجردات لان الهبوط في مقابلة الصعود وعن العالم العقلى بميم المركز لانه
نقطة في وسط الدائرة وعندها تجتمع انصاف أقطار الدائرة فهي مبدأ الخطوط
المجتمعة اذا اعتبر الابتداء منه ومنتهى الخطوط أيضاً اذا اعتبر الابتداء من
الخطوط فكذا المجردات هي مبدأ فيضان النفس وتتصل النفس بالمجردات
عند حصول ملكة الاتصال

﴿ وقال ﴾ الشارح هذا فيه رمز وأراد بالهاء في هبوطها الهبوطى وبميم
مركزها المبدأ الاول المفيض الوجود عليها وكفى عن الكفاة بجزئها وهذا

شأن المعبر الموجز المفصح عن كثير الالفاظ بقليلها وعن الكثير من المعاني
 ببعضها المشتمل عليها المنطوى تحت مفهومها وذلك لخصوصية الهاء باسم
 الهيولى والميم بالمبدا ﴿ والعلل ﴾ المؤثرة بالذات عشرة والاخير هو العقل
 الفعال المؤثر في عالم العناصر صوراً وفي النفوس البشرية وجوداً بحسب
 الاستعداد المنسوب الى الحركات الفلكية فيجب عند تمام الاستعداد افاضة
 النفس البشرية عنه وذلك متوقف على حدوث البدن فاذا تم استعداده
 أفيضت عليه نفس واحدة تدبره وهذه النفس لما كانت مجردة الجوهر عن
 الهيولى التي هي المادة وقائمة بنفسها فان البدن يجري منها مجري المادة
 ﴿ وانما ﴾ سمي المبدأ الاول مركزاً لأن المركز عبارة عن المكان المطلوب
 الكون فيه بالذات اما يميل نفساني كما في النفوس الى كمالها التي هي
 مراكزها واما يميل طبيعي كما للأموال الطبيعية الى مراكزها حتي اذا
 وصل اليه انقطع شوقه لديه فانقطع تحركه اليه ومراكز النفوس هي الوصول
 الى كالاتها المعبر عنها بالعود الى ربها ﴿ قال ﴾ وقوله بذات الاجرع وصف
 لذلك المركز بطريق التجوز فكما ان ذات الاجرع عبارة عن المكان الملايم
 لاتصال الاحباب وتنزه الخلان فكذا المركز يجري هذا المجري والقصد من
 هذا ان النفس حال استعمالها للبدن اذا شملتها العناية العالية وساقها زمام
 التوفيق الى التفكير في العالم العلوي الذي منه هبوطها وما فيه من العجائب
 تنبتهت من سنة الغفلة العارضة لها في العالم السفلي وتذكرت أن ذلك العالم
 الروحاني مركزها الحقيقي الذي أهبطت منه على رغبها فاشتاقت الى المقام
 في ظلال اخوانها ومنادمة خلانها وذهلت عن المألوفات العارضة السفلية
 وحتت بطبعها الى مازجة الروحانية ورامت الخلاص من تلك العلائق وهمت

بقطع العائق فعند ذلك وجدت نفسها اقتنصت بالشرك الملازم وأنزات
 للقفص الغير الملايم فانسد عليها ذلك الباب وهتف لها الهاتف بقوله لكل
 أجل كتاب فتراها صارخة باكية أفرح الحزن أجفانها وبيض البياض أعيانها
 تنادي بأعلى صوتها وأطرب ألحانها تشوقاً الى وطن الخلان ودوام منادمة
 الاخوان

اشتاكم حتى اذا نهض الهوي * بي نحوكم قعدت بي الأيام
 الى هنا كلامه

علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت * بين المعالم والطلول الخضع
 ﴿ اللغة ﴾ (قوله علقت) العلوq التشبث والتعوق يقال علق الشوك
 بالشوب علقا كعلم علما وتعلق به اذا نشب واستمسك وعلق الوحش بالجبال
 كطرب علوقا تعوق وأعلقت ظفري بالشيء انشبهته فيه (والثقل) ضد
 الخفيف وأثقله الشيء بالالف أجهده (وقوله فأصبحت) من الاستصباح أى
 الوضوح أو من الصبح من اخوات كان بمعنى صارت لانها موضوعة
 لاتصاف اسمها بخبرها قبل زمن التكلم (والمعلم) جمع معلم وهو العلامة نفسها
 أو موضعها (والطلل) الشاخص من آثار الدار وشخص كل شيء جمعه طلول كأسد
 وأسود واطلال كسبب واسباب تقول حيا الله طلك واطلاك والمراد
 بالطلول هنا الشواخص الباقية من آثار الديار وهي مواضع الحى وآثارهم (والخضع)
 كركع جمع خاضع وهو الذليل يقال خضع يخضع خضوعاً ذل واستكان
 وأخضعه الفقر أذله

﴿ الاعراب ﴾ (قوله علقت) جواب اذا ان جعلت شرطية كما مر
 وخبر ان جعلت فجائية (وبها) متعلق به (وقوله ثاء) فاعل علقت وهو

مضاف (والثقل) مضاف اليه (فأصبحت) فعل ماض وفاعلها أو اسمها مستتر فيها يعود لورقاء (وبين) متعلق بمحذوف تقديره كأنه حال من ضمير أصبحت أو خبرها وهو مضاف (والمعالم) مضاف اليه (والطلول) معطوف عليه (والخضع) صفة له

﴿ المعنى ﴾ هذا على سبيل الاستعارة أيضاً وأراد بثناء الثقل المادة الجسمانية وهي البدن اذ من أوصافه انه ثقل فانه طويل عريض عميق وعبر بقوله عقلت عن ارتباطها بالبدن وما بينهما من التعلق (وأراد بالمعالم رسوم الاصول وقواعد التركيب كالعظام والعضاريف وبالطلول ما كان صلباً من اجزاء البدن كالفقرات وعظام الفخذ لقوة ذلك تشبيهاً لعالم الاجسام الذي هو محل التصرفات للنفس بالاستعمال والاستخدام بمعالم المنازل وآثار الديار وأراد بكونها خضعا أنها قابلة للفناء آيلة للبطلان والدثور بخلاف العالم العلوي المنزه عن الكون والتساقط والمعنى ان النفس لما تعلقت بالبدن أصبحت بين القوي البدنية الجسمانية تستخدمها ليحصل ما هو المقصود لها من ارتسام الكليات والجزئيات فيها

﴿ فائدة ﴾ للنفس أربع دُور كل دار أعظم من التي قبلها (الاولى) بطن الأم وذلك محل الحصر والضيق والنم والظلمات الثلاث المشيمة والرحم والبطن (الثانية) هذه الدار التي نشأت فيها واكتسبت فيها الخير والشر (الثالثة) دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم ونسبة هذه الدار اليها نسبة الدار الأولى الى هذه (الرابعة) الدار التي لا دار بعدها دار القرار الجنة أو النار والله ينقلها في هذه الدور طبقاً بعد طبق حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيرها

﴿ تنبيه ﴾ قد شرف الله هذا البيت الشريف أعني الهيكل الانساني وجعله نظير العالم المحيط الاكبر معنى معنى وحرفاً حرفاً حتى كأنه هو فما تفرق في العالم الاكبر تجده مجموعاً فيه من ملك وملكوت فكما ان في الاكبر ماء ملحا وعذبا وزعاقاً ومراً فكذلك مثله في الانسان فالملح في عينيه والزعاق في منخرية والمر في أذنيه والعذب في فمه وكما ان في الاكبر تراباً وماء وهواء وناراً ففي الانسان ذلك بعينه * وكما ان في الاكبر شمساً وقمرًا ونجوماً ففي الاصغر الروح المضيئة للجسد كالشمس وكما ان الشمس اذا غربت أظلم العالم فالروح اذا فارقت أظلم الجسد والعقل كالقمر فكما ان القمر يستمد النور من الشمس وينقص ويزيد فالعقل تزيد قوته تارة وتنقص أخرى * ونظير الحمسة السيارة في البدن الحواس الخمس * ونظير الجبال العظام * ونظير البحار العروق * وكما ان في البحر حيتانا مضطربة ففي الانسان أعضاء مضطربة كاللسان المضطرب في الفم * وكما ان في العالم رياحاً أرباعاً شمالاً وجنوباً وضبا ودبوراً ففي الانسان أربع قوى جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة * وكما ان في العالم سباعاً وشياطين وبهائم ففي الانسان الاقتراس وطلب القهر والغلبة والغضب والحقد والحسد والفجور والاكل والشرب والنكاح * وكما ان في العالم ملائكة بررة ففي الانسان طهارة وطاعة واستقامة * وكما ان في العالم من يظهر للابصار ومن يخفى ففي الانسان ظاهر وباطن عالم الحس وعالم القلب فظاهره ملك وباطنه ملكوت * وكما ان في العالم سماء وأرضاً ففي الانسان علو وسفل فقابل بينهما تجمد النسخة الالهية صحيحة ما اختل حرف منها ولا نقص معنى ولم تجد له في مقابلة الازل الا الابد فهو متناهي الطرف الآخر

﴿واعلم﴾ ان أول ما خلق الله القلب لانه سرير الروح ومنصته
ومدرسة المعرفة وثقاوة الصفوة ومنزل المحبة ومحل العلم والفهم والادراك
والنور الفاضل من خطاب فاعلم انه لا اله الا الله ولا يتجلى فيه الا هو
والاستقرار المتولد من وعد الأبد ذكر الله تطمئن القلوب لا يحصل الا
فيه فلما كان هو المقصود في الثواب والعقاب والوعد والوعيد والترغيب
والترهيب كان سلطان البدن المخلوق اولاً ﴿ثم بنى له سبحانه منزهاً عجيباً
عالياً مشرفاً في ارفع مكان من هذه المدينة الانسانية سماه الدماغ وجعله
منشأ الحس الذي هو الواسطة بين القلب وبين العالم العلوي وجعل فيه ثلاثة
بطون أعظمها البطن الاول ثم الثالث واما الثاني فهو كمنفذ بينهما كالوددة ومقدم
البطن الاول يسمى (الحس المشترك) وفتح له فيه طاقات وخوخات يشرف
كل منها على ملكه وهي الاذنان والعينان والانف والقم بها ادراك السمع
والنظر والشم والذوق اما اللمس فهو في سطح الجسد فهذه الحواس الخمس
الظاهرة ﴿ثم بنى له في مقدم ذلك المنزه خزانة سماها (الخيال) جعلها مستقر
خبايا الحس المشترك وهي الصور المرتسمة فيه من المبصرات والمسموعات
والمشمومات والمذوقات والملموسات وتسمى (المصورة) ايضاً فاذا رأيت
انساناً ثم غاب عنك ثم حضر فتعرفه نفسك بواسطة الصورة وهذه المعرفة
هي (التخيل) ﴿ومن تلك الخزانة تكون المرأى والاحلام النومية ﴿وجعل
في مقدم البطن الثالث قوة تسمى (الواهمة) والوهمية ايضاً تدرك المعاني
الجزئية المنتزعة من الصور المحسوسة كصداقة زيد وعداوة عمرو ﴿وجعل
في مؤخر البطن الثالث قوة تسمى (الحافظة) والذاكرة ايضاً تحفظ المعاني
التي تدركها الواهمة كاخزانة لها ترجع اليها النفس بعد الغفلة عنها وذلك

يسمى (التوهم) * وجعل في البطن الثالث الذي هو كالودودة قوة تسمى
 (المتصرفة) تتصرف بالتركيب والتحليل في الصور الخيالية او المعاني الجزئية
 الوهمية او فيهما فتسمى (المتخيلة) (فتصرفها في الصور بالتركيب كتخيل انسان
 رأسه رأس أسد او انسان له رأسان او أربعة ايد او جناحان او قرنان او
 خارج من فيه شواظ من نار او اسد وجهه وجه انسان وبالتحليل كتخيل انسان
 بيد واحدة او عديم الرأس) وتصرفها في المعاني الجزئية بالتركيب كتوهم شجاعتين
 في انسان انسية وملكية وخدمتين في ضبع سبعية وجنية (وتصرفها في المعاني
 الجزئية بالتحليل كتجريد معنى ميت من عوارضه المادية حتى يصير كلياً
 وتجريد معنى زيد مثلاً من مشخصاته العارضة للمادة حتى يصير كلياً ايضاً
) وتصرفها فيهما بالتركيب كتتركيب صورة شاة مع شجاعة وماء مع تحدث
 ومنه قول الشاعر

وتحدث الماء الزلال مع الحصى * جري النسيم عليه يسمع ماجرى
 فكان فوق الماء وشياً ظاهراً * وكان تحت الماء سرا مضمرا
 ويسمى ما اخترعته بواسطة تركيب الصور المدرك مادتها بالحس خيالياً
 كاعلام ياقوتية على رماح زبرجدية في قول ابي الغنائم الحمصي
 وكان محمر الشقيق اذا تصوب أو تصعد
 اعلام ياقوت نشر * ن على رماح من زبرجد
 ويسمى ما اخترعته مما لم يكن مدركاً بالحس وهمياً كانياب الاغوال
 في قول امرئ القيس

ايقتلني والمشر في مضاجعي * ومسنونة زرق كانياب اغوال
 فان الغول اسم بلا مسمى وقد ركبت المتخيلة له صورة بانياب مخصوصة

وكل منهما لا يدرك بالحس كقوله تعالى طلعتها كأنه رؤس الشياطين فهذه هي
 المشاعر العشرة في الانسان خمسة ظاهرة وخمسة باطنة
 * وجعل هذا الدماغ مسكن الوزير الذي هو العقل
 (مدركات العقل)

وجعله مدركا للكليات كالانسان وادراك القوة العاقلة لها هو التعقل * وكما
 تتصرف المتصرف في الصور الخيالية او المعاني الجزئية وتسمى اذذاك المتخيلة
 كذلك تتصرف في مدركات العقل بضم بعضها الى بعض وتسمى حينئذ المفكرة
 كالقول الشارح في نحو الانسان حيوان ناطق وكالفكر لاستنتاج النظريات
 من الضروريات كالقياس (وكالجمع بين المعطوف والمعطوف عليه في العطف
 نحو زيد كاتب وعمرو شاعر فان الجامع في المسند اليهما عقلي وهو تماثلها لانه
 وان كان كل من زيد وعمرو جزئيا الا انه بالجرد صار كليا فصار من مدركات
 العقل فكانه قيل انسان كاتب وشاعر) والجمع بين المشبه والمشبه به في التشبيه
 كقول عفيف الدين البصري

اخو العلم حي خالد بعد موته * واوصاله تحت التراب رميم
 وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى * يظن من الاحياء وهو عديم
 شبه الميت العالم بالحي الخالد والحي الجاهل بالميت العديم ويلزمها تشبيه
 العلم بالحياة والجهل بالموت وهو المقصود لان المقام مقام مدح العلم وذم الجهل
 ومن ثمة يعتبران من تشبيه المعقول بالمعقول فهو كناية فيهما والعقل يجمع
 العلم والحياة لتماثلها في دوام النفع عند ثبوتها ويجمع الجهل والموت في انتفاء
 النفع عند ثبوتها

﴿ تنبيهات ﴾

﴿ التنبيه الأول ﴾ الحاكم على مركبات المتخيلة هو الواهمة وحكمها في المحسوسات قد يكون صحيحاً كالحكم بحسن حسناء وقبح شوهاء وان زيدا صديقه وعمراً عدوه وفي غيرها كذب كالحكم بأن كل موجود مشار إليه

﴿ التنبيه الثاني ﴾ مما يعرف به كذب الوهم ان الوهم يساعد العقل في المقدمات المنتجة تقيض ما حكمت به الواهمة مثلاً تحكم الواهمة بالخوف من الميت مع انها توافق العقل على أن الميت جماد وكل جماد لا يخاف منه فاذا وصل العقل والوهم الى النتيجة نكص الوهم وانكرها وأثبت الخوف وانحازت اليه النفس لانها منجذبة له كما هي منجذبة الى الحسن ومسخرة لهما فقد سبقا العقل اليها (فان قيل) ان المعاني الجزئية نسب منتزعة من الصور فتعقلها متوقف على تعقل صور المحسوسات فكيف تدركها الواهمة من غير ادراك الصور حتي تحكم عليها (يقال) ان ادراكها للخوف أو العداوة مثلاً يتأدي بذاتها وادراكها للميت أو الذئب مثلاً الذي هو صورة يتأدي بواسطة الحواس الظاهرة بواسطة الحس المشترك لان القوى الباطنة كالمرآة المتقابلة ينعكس الي كل منها ما ارتسم في الأخرى ﴿ ولهذا اذا كان أحد الطرفين جزئياً غير منتزع والآخر كلياً يكون الحاكم العقل كالحكم على زيد بالانسانية ولكن يكون ذلك بعد أن تجرد المتخيلة ذلك الجزئي من عوارضه حتي يصير كلياً فيدركه العقل

﴿ التنبيه الثالث ﴾ المدرك للكليات والجزئيات سواء كانت صوراً أو معاني انما هو النفس لكن بواسطة هذه القوى فلا سناد الي القوى مجاز عقلي

﴿ وشق له العين وجعل مقدار الابصار قدر عدسة ثم اظهر في تلك
 العدسة صورة العالم مع اتساع اطرافه وتباعدا كنفاه وجعل الحدقة مصونة
 بالاجفان لتسترها وتحفظها وتصلقها وتدفع الاقضاء عنها وجعل الاجفان سوداً
 ليجتمع النور المعين للابصار وجعل لتحريك الحدقة اربعمائة وعشرين عضلة
 لو نقصت واحدة لاختل ذلك وجعل الاجفان متحركة الى الانطباع ابداءً بغير
 اختيار الانسان لتصير الحدقة نقية صافية عن الكدورات فانها بمنزلة المرآة
 وهي لا تنفع الا اذا كانت في غاية الصقالة وشق الاذنين لادراك السمع
 وحوطها بالصدفة ليجتمع الصوت فترده الى الصماخ وجعل فيها انحرافاً
 واعوجاجاً لتطول المسافة فاذا دخلها شيء من الهوام تكثر حركته فيتنبه
 الانسان ويسعى في اخراجه قبل تمكنه * وجعل العينين مقدمتين والاذنين
 مؤخرتين لان العين تدرك الاجسام والاعراض وهي أدلة وجود الصانع
 والاذن تسمع الكلام والدلائل العقلية مقدمة على السمعبة * ورفع الانف
 في وسط الوجه بأحسن شكل وفتح منخريه وأودعها حاسة الشم ليستنشق
 الهواء البارد فيستغنى عن فتح النعم أبداً وجعل تجويفه واسعاً لينحصر الهواء
 فيه فينكسر برده قبل وصوله للدماغ ثم للقلب وليجلب هواء كثيراً فان
 النفس لو انقطع عن الانسان لحظة مات والقصد الاصلى بالنفس اتصال
 الهواء البارد للقلب وباخراجه دفع الفضلة الفاسدة منه * وجعل النعم آلة
 لتحصيل مصالح الروح وأودع فيه اللسان المعرب عما في القلب وجعل
 فيه وفي الحنجرة والشفتين مقاطع ومخارج للحروف المؤدية للمعاني * وخلق
 الحناجر مختلفة الاشكال ضيقاً وخشونة وملاسة لتختلف الاصوات فلا يتشابه
 صوتان البتة فكما حصل الامتياز بين الاشخاص بالقوة الباصرة حصل

بالقوة السامعة * وجعل فيه الاسنان لتعين على مقاطع الاصوات فتحدث
 الحروف المختلفة بسببها وتكون آلة للقطع والكسر والطحن وجعل المقدمة
 حادة عريضة الرأس لتكون كالسكين والانياب مستديرة الرأس خشنة
 كالرخی للطحن ولو قد ركون الاضراس مقدمة والرباعيات مؤخرة لبطلت
 المنافع وزين الفم بالاسنان فيبيضها ورتب صفوفها كأنها الدر المنظوم * وخلق
 الشفتين تحسیناً للشكل وليقيم بهما مخارج الحروف * وجعل الاذن بلا حجاب
 ولا باب * وخلق وراء اللسان بايين الاسنان والشفتين تنبها على انه يجب
 كون استماع الكلام أكثر * وجعل الفم معدنا للرطوبة العذبة اللعابية
 فاذا طحن الطعام بأسنانه امتزج اللعاب فوصل أثر الطعام اللذيذ حالا ولولا
 اللعاب لتعذر مضغ الطعام وعسر بلعه وامتنع تكياسه وهضمه فسبحان المصور
 ﴿ انظر ﴾ الى وجهك مع صغره فانه تعالى وضع فيه أربعة بحار مختلفة
 الطبائع والطعم فجعل الاذن مملوءة ماء مرّاً ثلاثا يدخلها شيء من الحشرات
 والعين مملوءة ماء ملحاً ثلاثا تطرق العفونة الى ذلك الشحم وفي الفم ماء عذبا
 ليجد الطعم وفي الانف ماء غصرا متغيرا لانه مصب فضلات الدماغ * وخلق
 اليدين للطب والرجلين للهرب ولو ذهبنا نذكر تفاصيل ذلك وتكاملنا على
 بقية البدن لضاقت الانفاس وامتلاء القرطاس فسبحان من له في كل شيء حكمة
 تبكي اذا ذكرت عهوداً بالحمي * بمدامع تهمني ولم تقطع

﴿ اللغة ﴾ (البكاء) بالمد سيلان الدمع عن حزن وأصله غليان دم القلب
 بتذكر ما يصعب على النفس وقوعه فيتصاعد بقوة التفكير ماء ممزوج بحرارة
 الشوق ونار الغرام الى الرأس ثم ينحدر الى التجاويف (والذكر) حضور
 الشيء في القلب (والحمي) البقعة التي يحوزها الانسان بقوته ومنعته ويمنع غيره

من التعدي عليها (والمدامع) جمع مدمع وهو محل اجتماع الدمع والمراد هنا
الدمع نفسه (وتهمي) تسيل يقال همى الدمع والماء هميا اذا سال (وقوله ولم
تقطع) أى لم تجف أو لم تجبس يقال انقطع النهر اذا جف أو انحبس
﴿ الاعراب ﴾ (تبكي) فعل مضارع وفاعله مستتر فيه يعود الى
ورقاء جواب اذا وقدم عليه للوزن (واذا) ظرفية شرطية (وذكرت) فعل
الشرط وفاعله مستتر فيه يعود الى ورقاء أيضاً (وعهوداً) مفعوله (وبالحمى)
جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لعهود أي عهوداً ماضية بالحمى (وبمدامع)
متعلق بتبكي وجملة (تهمي) صفة لمدامع (ولم تقطع) عاطف وجازم ومجزوم
وكسر للروي وفاعله الضمير المستتر يعود للمدامع

﴿ المعنى ﴾ هذا البيت قد اختلف الشراح في فهمه * فذهب جمع الى
أن ذلك البكاء في هذه النشأة ثم اختلفوا في سببه فقال ابن السكيت ان النفس
اذا لقت البدن وأحبته تألمت باستشعارها فراقه فبكت وعلى هذا فالمراد
بالحمى البدن شبهه به لأن النفس اذا تعلقت ببدن لم يكن للنفس أخرى التعلق
به فهو كالحمى لها * وقال بعضهم معناه اذا ذكرت عهود أهل الحمى اشتملت
نار الشوق فيها فبكت على مفارقة الروحانيات وعليه فالمراد بالحمى عالم المجردات
وهذا يتتضي تقدم خلق الارواح على الاجساد ولا يلزم منه قدمها كما توهمه
البعض فاعترض به على الناظم بانه لا يوافق مذهبه من الحدوث كما مر
* وذهب بعضهم الى أنه انما يكون بعدم مفارقة البدن وذلك لانها عند مفارقتها
له نظرت الى تفكيك هذه الاوصال وتفرق هذه البنية البديعة المثل وتلاشي
هذا البيت المعمور المعجوز عن الاتيان بمثله الا لصانعه المتقدس عن أن يدرك
بالحواس أو يقاس بالناس فعظم عليها الوجد والبكاء والاحتراق ولو جاز عليها

الفناء لربما فنيت نفوس كثيرة صبايةً على هذا البيت الشريف الذي كان يسميه
هرمس الأول بيت الله ويسميه سقراط الهيكل المقدس فهي بعد المفارقة تتردد
اليه وتقف بازائه وتبكي وتندب حاله وتتأسف على تلك الهيئة الاجتماعية وعليه
فالمراد بالبكاء التفجع والتوجع والكآبة والحزن لان البكاء انما يكون في
هذا التركيب بهذه الحواس (ثم ان النفس ان كانت سعيدة فتنفجعها رحمة
للهيكل الذي بواسطته صارت فاضلة خيرة كيف استولى على أجزائه البلى وفارق
كشيفه لطيفه بعد ما كان في رفاهية وتود لو كان باقياً مثلها وان كانت شريرة
فتنفجعها لما انه قد حيل بينها وبين اللذات الجسمانية التي كانت تتوصل اليها به
﴿ فائدة ﴾ قال ابن القيم الروح تأخذ من بدنها صورة تتميز بها عن
غيرها بعد المفارقة فانها تتأثر وتنفعل عن البدن كما يتأثر البدن وينفعل عنها
فيكتسب البدن الطيب والخبث منها كما تكتسبها هي منه قال بل تميزها بعد
المفارقة بكون أظهر من تميز الابدان فان الابدان تشبه كثيراً وأما الارواح
فقلما تشبهه * قال ويوضحه اننا لم نشاهد أبدان الائمة وهم متميزون في علمنا أظهر
تميز وليس هذا التميز راجعاً الى مجرد أبدانهم بل بما عرفناه من صفات
أرواحهم * وأنت ترى آخرين شقيقين مشتبهين في الخلقة غاية الاشتباه وبين
روحيهما غاية التباين * وقل ما ترى بدنًا قبيحاً وشكلاً شنيعاً الا وجدته مركباً
على نفس تشاكله وتناسبه * وقل ان ترى آفة في بدن الا وفي روح صاحبه
آفة تناسبها ولهذا يأخذ أصحاب الفراسة أحوال النفوس من أشكال الابدان
وقل ما ترى شكلاً حسناً وصورة جميلة وتركيباً لطيفاً الا وجدت الروح المتعلقة
به مناسبة له * واذا كانت الملائكة تتميز من غير أبدان تحملهم وكذا الجن
فالارواح البشرية أولى * وفي بعض النسخ وقد ذكرت * وقوله تهجي أي

نزل بقوة اندفاع وانحدار يقال همى السيل والمطر تواتر نزوله بقوة فهي
استعارة مجردة وفي نسخة بدل ولم تقطع ولما تقطع وفي أخرى ولم تقلع
وفي أخرى ولما تقلع أي هي مقيمة على البكاء والتفجع لا تتركه لتواتر الاسباب
واستحالة الاستدراك وحصول اليأس وفي نسخة تهمل ببناءه للمفعول وجعله
للفاعل أولى لان بناءه للمفعول يستدعي فاعلا خارجا عن النفس ولو
بطريق التجريد

﴿ تنبيه ﴾ للغزالي كلام نفيس يتعلق بما هنا أحببت ايراده ليفاد وان
كان بعض تكرار لما تقدم قال اذا أردت أن تعرف حقيقة الموت وما فيه
فلن تعرفه مالم تعرف حقيقة الحياة ولن تعرفها مالم تعرف حقيقة الروح وهي
نفسك وحقيقتك وهي أخفى الاشياء عنك ولا تطمع في أن تعرف ربك
قبل أن تعرف نفسك ودواعي نفسك التي هي من خاصة الامر المضاف الى
الله في قوله تعالى ويسألونك عن الروح الآية وقوله ونفخت فيه من روحي
دون الروح الجسمانية اللطيفة حاملة قوة الجنين وحرارة الحركة التي تنبعث
من القلب وتنتشر في جملة البدن في تجاويف العروق الضوارب فيفيض منها
نور حس البصر على العين والسمع على الاذن وكذا سائر القوى كما يفيض
من السراج نور على حيطان البيت اذا ادير في جوانبه فان البهائم تشارك في
هذه الروح وتمحق بالموث لانها بخار اعتدل بصحة عند اعتدال مزاج
الاخلاط فاذا انحل المزاج بطل البخار كما يبطل النور الفأض من السراج
عند انطفائه بانقطاع الدهن عنه أو بالنفخ عليه وبانقطاع الغذاء عن الحيوان
تفسد هذه الروح لان الغذاء له كالدهن للسراج والقتل له كالنفخ فيه فهذه
هي الروح التي يتصرف في تعديلها وتقويمها علم الطب ولا تحمل هذه الروح

المعرفة والامانة * بل ذلك للروح الانسانية أي الخاصة بالانسان والمراد بالامانة تقلد عهدة التكليف بأن تتعرض لخطر الثواب والعقاب في الطاعة والعصيان وهذه الروح لا تموت ولا تفنى بل تبقى بعد الموت في نعيم وسعادة أو جحيم وشقاوة فانها محل المعرفة والايان كما نطقت به الاخبار وشهدت له شواهد الاتصال ولم يأذن الشرع في ذكر تحقيق صفتها اذ لا يحتملها الا عقول الراسخين في العلم وكيف يذكر وله عجائب من الاوصاف لا يحتملها أكثر عقول الخلق فلا تطمع في ذكر حقيقتها * لكن نذكر لك تلويحات يسيرة من صفتها بعد الموت فهذه الروح لا تفنى ولا تموت بل يتبدل بالموت حالها فقط وتتبدل منزلتها فتترقى من منزل الى منزل والقبر في حقها روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ولم يكن لها مع البدن علاقة الا استعمالها البدن واقتناص أوائل المعرفة مرسله شبك الحواس فالبدن آلتها ومركبها وشبكتها وبطلان الآلة والمركب والشبكة لا يوجب بطلان الصائد * نعم ان بطلت الشبكة بعد الفراغ من الصيد فبطلانها غنيمه اذ يتخلص من حملها وثقلها ولذلك قال المصطفى تحفة المؤمن الموت * وان قطعت الشبكة قبل الصيد عظم فيه الحسرة والندامة والألم ولذلك يقول المقصرون رب ارجعون لعلی عمل صالحاً فيما تركت * فان كان يألف الشبكة وأحبها وتعلق قلبه بها وبحسن صورتها وصنعها وما تعلق بها كان له من العذاب ضعفان حسرة فوات الصيد الذي لا يقنص الا بشبكة البدن وزوال الشبكة مع تعلق قلبه بها وانفه لها وهذا مبدا من مبادي عذاب القبر

﴿ واعلم ﴾ ان معنى الموت زمانة البدن وزمانته خروجه عن طاعة النفس مع وجود شخصها لبطلان القوة التي بواسطتها تستعمل البدن فالموت زمانة

مطلقة في جميع الاعضاء ببطلان قواها * ويسلب الموت منك جميع حواسك
وأنت باق أعني حقيقتك التي بها أنت فانك الآن الانسان الذي كنت في
الصبا ولم يبق فيك من الاجزاء التي كانت شيء بل انحلت كلها وحصل بالغذاء
بدلها وأنت أنت وجسدك غير ذلك الجسد * وان كان لك معشوق تفتقر فيه
الى حواسك عظم عذابك لفراقك معشوقك وجميع ما في الدنيا معشوق ولا
ينال الا بالحواس ولا فرق في عذاب العاشق بين ان يحجب عنه معشوقه
وبين ان تفقد ذاته ويسلب عنه بأن يحمل الى موضع حتى لا يراه فيكون الألم
من عدم الرؤية ومن أحب أهله وماله وعقاره وقريبه وجاريتيه وثيابه تألم
بفراقها سواء سابت عنه أو سلب هو عنها بأن حمل الى موضع آخر وحييل
بينه وبينها * فالموت يسلبك عن هذه الاشياء ويحول بينك وبينها فيكون
عذابك بقدر عشقك لها والموت يخلي بينك وبين الله تعالى ويقطع عنك
هذه الحواس الشاغلة المشوشة فتكون لديه في القدم عليه بقدر حبك له
وأنسك بذكره ولهذا نبهك وكنت ضالا فهداك * وأجمع العبارات عن
نعيم أهل الجنة أن لهم فيها ما يشتهون ولا يلبذ الا الشهوة ولكن عند مصادفة
المشتهى ولا يؤلم الا الشهوة ولكن عند مفارقة المشتهى * ولا ينبغي ان تغتر
الآن فتقول ان كان هذا سبب عذاب القبر فاننا الى امان منه اذ لا علاقة
بيننا وبين متاع الدنيا وتخرج عنها بالكلية فكم من رجل باع جاريتيه على انه
لا علاقة بينه وبينها فلما أخذها المشتري اشتعل قلبه نارا وقد يقتل نفسه فكذا
يكون حالك في القبر في كل ما تعلق قلبك به من الدنيا * ولهذا قال المصطفى
أحجب من أحببت فانك مفارقة ووراء هذا عذاب أعظم منه وهو حسرة
الحرمان عن القرب من الله والنظر الى وجهه الكريم وينكشف لك بالموت

عظم ما فاتك منه وان كان لا يعظم قدره عندك قبل الموت فان الموت سبب
 لانكشاف ما لم يكن انكشف * كما ان النوم سبب العيان بالغيب بمثال أو غيره
 والنوم أخو الموت لكنه دونه بكثير * وهذان عذابان متضاعفان على كل
 ميت كان غير الله أحب إليه منه وكان أنسه بغيره أكثر من أنسه به ضروريان
 ان عرفت بالحقيقة الروح ومعناها بعد الموت وعلاقتها وما يضادها بالطبع
 وما يوافقها

﴿ واعلم ﴾ انه قد ظهر لي بالمشاهدة ظهوراً أوضح من العيان ان
 أصناف عذاب القبر بعد فراق البدن خلاله أعني الروحاني منها فرقة المشتهيات
 وخزي خجل الفاضحات وحسرة فوت المحبوبات فهذه ثلاثة أنواع من
 النيران الروحانية تتعاقب على من آثر الحياة الدنيا الى أن ينتهي الى مقاسات
 النار الجسمية (فالنوع الاول حرقة فرقة المشتهيات) وصورته المستعارة من عالم
 الحس والتخيل التين الذي وصفه الشرع وعدد رؤسه وهي بقدر الشهوات
 وردائل الصفات تلدغ صميم القواد لدغاً مؤلماً وان كان البدن بمعزل عنه فقد
 زال ما كان مستولياً على ما كان عدوه واسترقه وصار يتمتع بنعمته وأهله
 وجواريه بين يديه فهل ترى على قلبه تيناً ذا رؤس كثيرة يلدغ قواده وبدنه
 بمعزل عنه او لا * ومن كان افقر وتمتعه اقل كان عذابه اخف * ومن لاعلاقة
 له من الدنيا لاعقاب عليه اصلاً (الثاني خزي خجل الفاضحات) قدرنا ان
 رجلاً ديناً عاجزاً قربه ملك وقواد ومن عليه وممكنه من حريمه وخزائنه فخانه
 في ماله وفجر بأهله وهو يعتقد انه غير مطلع عليه ثم حانت منه التفاتة فرآه
 مطلعاً عليه فانه يحترق بنار الخزي والخجل فكذا انت تفتضح ويحترق قلبك
 على عمالك الذي ظننت انه هين وهو عند الله عظيم

(الثالث حسرة فوت المحبوبات) قدرنا ان نفسك مع جماعة دخلتم في
ظلمة وفيها حجارة لا ترى ألوانها فقال أقرانك احمل من هذا ما تطيق فلعل
فيه نفعاً فقلت ماذا أصنع بالحجارة فاكدت نفسي بحملها ولا أدري عاقبته فيأخذ
أقرانك ما أطاقوا حمله وتركت أنت فلما جاؤا وراء الظلمة وجدوها جواهر
فأصبحوا بها أغنياء وأنت معهم فكيف ترى اشتغالك والحسرة في قلبك
وبدلك بم عزل عنه وكيف تقول يا حسرتي على ما فرطت فقال تارك الطاعات
ينكشف له بعد الموت قدر الطائعين وحرمانه من الثواب ما يتحسر عليه ويتألم
به * ولا تظن أن الله يغضب عليك انتقاماً ثم تخدع نفسك برجاء العفو فنقول
لم يمدبني ولم تضره معصيتي اذ يلزم العذاب من المعصية كما يلزم الموت من
السم وهذه الحسرة دائمة لا تزول أبداً وهذه الانواع الثلاثة مترتبة * فالاول
أول ما يلقاه الميت وهو فرقة المشتهيات لان أغلب الاشياء على قلبه في الحال
فراق ما فاته من نحو مال وجاه وبنوة ونعمة (ثم بعده تنكشف له أرواح
الاعمال وحقائقها القبيحة وذلك عند الانقار التام في الموت وبعد الفناء وكما كان
امعانه في الموت أشد فهو للكشف أقبل فيفيض عليه عند ذلك خزي الفضيحة
(وأما الثالث فيستولى عليه آخراً لان بعد العهد عن الدنيا يخفف عنه عذاب النزوع
اليها * وطول العهد بالكشف يوجب خروجه عن خزي الافتضاح
الان وصول عذاب الخزي يكون عند هجوم الافتضاح ثم يألف الفضيحة والخزي
* ثم عند فتورها تنكشف حسرة الفوت لظهور جلالة الغائب وهذا كله تعرفه
إذا عرفت نفسك وعرفت أن مالك الموت لكن عقب ما تعمى عيناك
وتصم أذناك وتغيب أعضائك * فاما الحقيقة التي بها أنت انت فلا تنفي بالموت
اصلا بل يتغير حالك فقط وتبقى جميع معارفك وادراكك الباطنة وهذا

كله مقدمات أعد لها الجسم البدني وله ميعاد معلوم واقنع الآن بهذا القدر
فانه انموذج فيه كفاية انتهى

﴿ وقال في المضمون ﴾ النفس اذا فارقت البدن وحملت القوة الوهمية معها
تجدها منزهة لا يصحبها شيء من الهيئات البدنية وهي عند الموت عالمة
بمفارقتها عن البدن وعن دار الدنيا متوهمة نفسها الانسان المقبور الذي مات
وعلى صورته كما كان في الدنيا تخيل ويتوهم وتخيّل بدنها مقبوراً فان كانت
شقية تخيل الآلام الواصلة اليها على سبيل العقوبة الحسية على ماوردت به
الشرائع الصادقة فهذا عذاب القبر وان كانت سعيدة تخيلته على صورة ملائمة
على وفق ما كان يعتقد من الجنات والانهار والغلمان والولدان والخور العين
والكأس من المعين وهذا ثواب القبر فلذلك قال المصطفى القبر روضة من
رياض الجنة أو حفرة من حفر النار * فالقبر الحقيقي هذه الهيئات * وعذاب
القبر وثوابه ما ذكرنا * والنشأة الاخرى خروج النفس من هذه الهيئات
كما يخرج الجنين من القرار المسكين انتهى

وتظل ساجدة على الدمن التي * درست بتكرار الرياح الاربع
﴿ اللغة ﴾ يقال ظل يفعل كذا أي اشتغل به نهائراً وقد يراد به الدوام
وسجعت الحمامة اذا رددت صوتها على وجه واحد والدمن بكسر ففتح جمع
دمنة وهي ما بقى من آثار الديار ورسومها أو ما سوّد منها بالارمدة والمراد
هنا اجزاء البدن والدروس ذهاب الاثر

﴿ الاعراب ﴾ (وتظل) الواو عاطفة وتظل فعل مضارع ناقص واسمها
المستتر يعود الى ورقاء (وساجدة) خبر (وعلى الدمن) متعلق بساجدة (والتي)
نعت الدمن (ودرست) صلة التي ونائب الفاعل المستتر عاؤها (وبتكرار)

متعلق بدرست مضاف (والرياح) مضاف اليه (والاربع) نمت الرياح
 ﴿ المعنى ﴾ قوله تظل أسى تدوم وأراد بالدمن هنا المادة الجسمانية
 أعنى أجزاء البدن وقواها وعبر هنا بذلك لان البكاء لا يعظم الا اذا بقيت
 المنازل التي كان يستوفى منها الانسان مألوفه فاذا كانت باقية اشتمد البكاء
 والنحيب ومشاهدتها على ذلك المنهج يهيج ما كان كامناً في القلوب وأراد
 بالرياح الطبائع الاربع الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة التي ليس السبب
 في بطلان البدن الاعدم اعتدالها فأضاف الدروس والانطماس الى تلك
 الكيفيات لان الموجب للاندراس تفاعلها وعبر عنها بالرياح لان غاب
 تغير العالم انما هو بها حملها التراب حتى تكسى بها العمارات الانيقة سيما اذا
 كانت من جميع الجهات وذلك وارد على طريق الاستعارة فنزل البدن
 منزلة الدار واختلاف الاخلاط منزلة الرياح واستيلاء الفاسد من الخلط حتى
 صار مرضاً منزلة الاتربة والرمال وأشار بقوله تظل ساجدة الى ما يبقى مع
 النفس عند المفارقة من الاسف والحزن على البدن ومقتضياته والمحجوبات
 الدنيوية التي ألقها النفس حال ثابستها بالبدن وأحبها الى أن يضمحل ذلك
 ببعده العهد بالحياة الاولى ﴿ تبييه ﴾ في البيت تصريح من الناظم ببقاء النفس
 بعد الموت وقد اتفق القائلون بمغايرة النفس للبدن من أهل الملل والحكماء
 على انها لا تفنى بفنائها لظهور ان علامة التدبير لا تقضى ذلك، الا أن دليل
 بقاءها عندنا السمع وعند الحكماء امتناع فنائها لان أجزاء البدن تتبدل
 وتحلل والمدرك منك ثابت فلو كانت النفس مما يبطل ببطلان البدن لبطلت
 عند التبديل الاول فان علاقتها مع الروح والروح أبدأ في التحلل وليس
 النفس ذات مكان أو محل فيكون لها مزاجهم أو مصاديبطها أو يتغير استعداد

المحل فتبطل فليس بينها وبين البدن الا علاقة شوقية وهي اضافة والاضافة
أضعف الاعراض فانه ينتقل ما على يمينك الى يسارك وتبديل اضافتك اليه
بدون تغيير في ذاتك فلو كانت النفس تبطل ببطلان البدن لكانت أضعف
الاعراض وهو محال فما كان المفارق هو علتها دائماً وليست ذات محل
فتبقى ببقائه

﴿ خاتمة ﴾ قال الغزالي تقرير النفس وهل هي باقية أم لا كالمقطب
لسائر العلوم وله يجده المجتهدون ويعمل العاملون ولا فائدة أعظم منه فان
نبوة الانبياء والثواب والعقاب والجنة والنار وسائر شؤون الدنيا والآخرة
المأخوذة عن الرسل لا تثبت متى أبطلت هذه المسئلة فان النفس اذا لم يكن
لها بقاء فجميع ما أخبرنا به أو طمعنا فيه باطل وبحسب ما نشق به من هذه
المسئلة نجهد وبحسب ما يغيب منها نغتر وبهذه المسئلة كفر الزنادقة فانهم
زعموا أن حقيقة الانسان مزاج معتدل كالنبات متى اعتدلت قواه بقي ومتى
غلب عليه حر أو برد فسد ودثر ثم لا يرتجى بعد ذلك موتاً ولا حياة ولا
نشورا فاستخفوا بالخالق والخلق واستهانوا برسول الحق فهذا أهم العلوم مطلقاً
اذعاقها الشرك الكثيف وصددها * قفص عن الاوج القسيح المربع

﴿ اللغة ﴾ (قوله عاقها) أي منعها يقال عاقه من باب قال واعتاقه
وعوقه بمعنى منعه (والشرك) بفتحين حباله الصائد (والكثافة) الغلظ
وبابه ظرف فهو كثيف (وصدده) عن كذا صدا منعته وصدفته وصددت
عنه اعرضت (والقفص) بالتحريك واحد اقفاص الطير قيل معرب وقيل
عربي واشتقاقه من قفصت الشيء اذا جمعته (والاوج) المكاف المرتفع
ضد الحضيض (والقسيح) المتسع (والمربع) وزان جعفر منزل القوم في الربيع

أو مكان ذو بهجة يرتاح الباطن اليه

﴿ الاعراب ﴾ (اذ) تعليلية (وعاقها) فعل ومفعول (والشرك)
 فاعل (والكثيف) نعت الشرك (وصدها قفص) عاطف وفعل
 ومفعول وفاعل (وعن الاوج) متعلق بصدها ويقدر لعاقها عنه أي الاوج
 (والفسيح) نعت الاوج صفة مشبهة (والمربع) عاملها مضاف اليها مثل
 الحسن الوجه

﴿ المعنى ﴾ يريد ان العلاقة الجسمية والعوائق الطبيعية عوقت النفس
 عن اتصالها بالمعقول المجردة الخالية عن الشوائب الجسمية والنقائص المادية
 فتعلق النفس بالبدن هو المعوق لها عن الاتصال بالعالم العقلي الاوسع من
 من عالم المحسوسات ووصفه بالسعة لان ضيق المكان انما يكون لازدحام
 الاجسام فيه والمجردات ليست ذوات اوضاع فلا يتصور ذلك فيها * فعلم
 بهذا التقرير انه اراد بالشرك الدنيا لانه يبذر فيه الحب ليسقط الطائر بطبعه
 عليه لكونه قوام حياته ومناط لذاته وان كان فيه مكر وخديعة لحصوله به
 في الشرك لكن الشهوات وان كانت شبيهة بالشرك فالمتصود الذاتي للباري
 سبحانه من اهباط الانسان للدنيا التأهل للكمال اذ به العود الى ذلك العالم
 وان لم يكن مصاحباً لذلك البدن وان جاز تعلقها ببعض الابدان على بعض
 الوجود كما اشار اليه الناظم في الاشارات * وحصول الهلاك ليس مقصوداً
 للباري بالقصد الاول بل بالثاني لان رحمته سبقت غضبه ورحمته وسعت كل
 شيء وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
 ما بأنفسهم ووصف الشرك بالكثافة لتكون ابعاد من التخلص و اراد بالقفص
 الهيكل الجسماني الذي هو مركب النفس ووكرها الذي ناوى اليه وتعمد في

التصرف عليه وهذا فيه استعارة فكما ان القفص الذي فيه الطائر لا يمكنه مفارقتة الا من جهة واضعه فيه مع كونه مشبكا ينظر الطائر الى الاشياء الخارجة من خلاله فكذا البدن مشبك بالحواس الظاهرة والباطنة والنفس تطالع المحسوسات الخارجة من ذلك الهيكل والاوج المكنان العالي من الفلك المحيط بالاضافة الى الحضيض وهو المقابل له من جهة النزول * وأعلم بما وصف أن من كان مركزه الأفق الاعلى واخوانه المجردات وكان منزهاً في ذاته عن المكنان وفي ماهيته عن تغييرات الزمان فلا أوج أوسع من أوجه * وأراد بالمرجع هنا كثرة مافي المقام الرفيع من الخيرات كفيض الانوار وأصوات حركات الافلاك ومافي اصطكاكها من اللذة التي تأخذ المجردات عن اكوانها وكيف تتجلى روحانيات الكواكب مشرقة على كراسي مجالسها وهذا البيت كالتعليل لما قبله

﴿ تبيينه ﴾ زعم بعضهم ان الرواية الشرك بكسر فسكون والمراد به في حق العموم الشرك الاصغر الذي هو أخفى من ديب النمل على الصفا لكن سياق الناظم ينبو عنه وفي قوله الاوج التسيح المربع تكثير واطناب وتهويل وذلك لان عادتهم اذا عظمت المطالب يعددون العلل وان أمكن اتحادها

حتى اذ قرب المسير الى الحمى * ودنا الرحيل الى الفضاء الاوسع
 ﴿ اللغة ﴾ (القرب) ضد البعد (والمسير) مصدر بمعنى الذهاب (والحمى) الحمى كما مر لكن المراد هنا البدن على ما قاله جمع من الشراح وهو غير جيد لان الموت اذا قرب فسير النفس الناطقة انما هو من العالم الجسماني لا اليه فالنتجه أن المراد به عالم المجردات وهو المحل الذي لا يأسف

ساكنه على شئ ولا يفوته شئ ولا يحزنه الفزع الاكبر (والدنو) القرب
يقال دنا منه واليه دنواً قرب فهو دان وعليه فذكره بعد القرب الذي هو
بمعناه تفنن وكراهة لتوالي الامثال في بيت واحد (والرحيل) بمعنى الارتحال
(والفضاء) بالمد المسكان الخالي (والوسع) الواسع بزيادة على غيره وأراد
به هنا عالم المعقولات فانه أوسع جداً من عالم المحسوسات اذ المحسوسات
منحصرة في أجناس من الموجودات قليلة متناهية والمعقولات غير متناهية
﴿ الاعراب ﴾ (حتي) حرف غاية وجر (واذا) ظرفية (وقرب)
شرطها وجواب الشرط هجعت أو سجعت في البيت الآتي وقرب المسير هو
غاية ذلك البكاء والمغيا البكاء عند ذكر العهد بالحلم واستمرارها ساجمة
على الدمن وقد ذكرا قبل هذا البيت

﴿ المعنى ﴾ أراد لما قربت مفارقة النفس للبدن وقطع العلائق الجسمانية
والاتصال بالعقول المجردة هجعت وفعلت كذا وكذا * قال الشارح هذا
اشارة الى الحالة التي هي الغاية اللاحقة للنفس وهو آخر كمال يلحقها بالاضافة
الى السكون في هذه الدار وأول كمال يحصل لها بالاضافة الى الدار الآخرة
وحقيقة الموت على رأى الناظم ليس الا حط النفس للآلة البدنية عند عروض
غلبة بعض الطبائع وعدم قبول البدن للتصرف وامتناع الحركة والسكون
وهذه تسمى حالة التعطيل لذلك البدن وتشبه بصانع القى آتته ومضى لمنزله
فهناك تكون المفارقة والخلاص من ذلك القفص والرحيل الى عالم القدس
والسمادة وحط الرجل بعالم البرزخ والسرور النير بالانوار الذاتية المحمى
عن التنافس والتقاطع والتدابير فهذا حقيقة الموت عنده وعليه صدق قولهم
انه كمال لاحق وسابق ودنو الرحيل مشارفة النفس لتلك الحالة التي هي

المفارقة المسماة بالموت واطلاق المسير والرحيل عليها استعارة من الحالة
المحسوسة الى المعقولة

﴿ تتيه ﴾ قال الغزالي في المعراج الموت فساد المزاج وعدم قبول الجسم
الانفعال للنفس لعدم الحس والحركة فمن زعم أن النفس قديمة زعم أن
ترك النفس للبدن كالرجل يرتحل عن بيت ضيف فيه الى داره وعلى الرسم
المتقدم كمن لبس ثوباً حتى تقطع وتخرق عنه فيسقط عنه الثوب فيبقى عرياناً
والملك الموكل بالموت موكل بسبب الموت أيضاً فيسوق الآلام ويبعث النفس
على الهلكة فيكون الموت بواسطته ولا يبعد أن يكون للنفس ملائكة تتلقاها
بالسخط والرضى كما شهدت به الظواهر * وأما هل الموت كمال أو نقص حقيقة
النقص الرجوع من الأعلى الى الأدنى والكمال الارتقاء من الأدنى الى
الأعلى فالإنسان ان كان يرتقي بسبب الموت الى أعلى فهو كمال وذلك لانه
متردد في أطوار الحلقة من كونه تراباً فبنطفة فعلقه فمضغة فلحمًا ثم يكون نفساً
ثم يكون مولوداً رضيعاً ثم فطيماً ثم صبياً ثم شاباً ثم فتى ثم يافعاً ثم كهلاً ومن كونه
جاهلاً ثم عالماً فما من منزلة من هذه المنازل الا تجدها كمالاً والإنسان لو جعل
له عقل في بطن أمه لم يرض أن يبدل بها سواها وذلك للالفة وعليه أشدوا
لما توذن الدنيا به من فراقها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانها * لاوسع مما كان فيه وأرغد
ولولا عدم الالفة ووحشة التبديل لما بكى والنفس خواردة بل الشيخ
الكبير على طول تجربته اذا رحل من دار الى دار وجد الما وسهراً
وربما لم ينم وكذا الغريب وانما كانت الغربية مؤلمة لعدم الالفة وأنشدوا
وحبب أوطان الرجال اليهم ما ربح قضائها الشباب هنالك

ولذلك أمرت الرسل الخلق بالاقبال من الدنيا ورغب الزهاد في ترك
الوطن ورغد العيش * وقال المصطفى كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل
وعُد نفسك في أهل القبور * وقال مثلي ومثل الدنيا الاكراكب قال في
ظل شجرة ثم سار وتركها

* فالقصد بالرياضة وتمرين النفس على الشدائد * ان تمحي هذه الامور
عنها وتزول عنها الالفة لهذه الدار فاذا ماتت وان شق عليها ما حصلت فيه
لا تلبث الا يسيرا فتفرح فرحاً لانهاية له واذا كانت مشغولة بالمال والاهل
والاقبال على اللذات والعكوف على الشهوات كان ذلك مكدرًا وشاغلاً عند
الموت فانه انتقال من ضد الى ضد وهو هلكة فامر الرب لطفًا منه بالبعد
ان يكون بين ضدين بتدريج وعلم مما مر ان النفس آخذة في الكمال من
حين خلقها الى حين موتها فلموت كمال الاجسام لان النفس تبرا عن المادة
وتلحق بافق الملائكة وهي الخبيثة العليا فان كانت نفسا شقية كان كمالا باعتبار
المادة ونقصا من حيث تخلفها عن الخبيثة العليا فلا تزال كثييرة حزينة على
جسمها وملاذها وحواسها فانها لم تعتد تركه ولم ترص ذاتها على ترك الملاذ
فكانت حين نزعها حزينة على البدن فلا تزال في حسرة وندامة والم ونهش
عقارب وحيات وسلاسل وأغلال أبد الأبدن الآماشاء ربك

وغدت مفارقة لكل مخلف * عنها حليف التراب غير مشيع

* اللغة * (غدا) الشئ غدوا من باب قعد ذهب غدوة وهو ما بين
النجر وطلوع الشمس هذا أصله ثم كثر حتى استعمل في الذهاب والانطلاق
أي وقت كان كما هنا (والحليف) المصاحب والمعاهد يقال تحالفا اذا تعاهدا
وتعاقدا على ان يكون أمرهما واحدا في النصر والجماعة (والتراب) وزان

قفل لغة في التراب (والتشيع) الاتباع والتوديع تقول شيعة رمضات
بست من شوال أتبعته بها وشيعة الضيف خرجت معه عند رحيله اكراما
له وهو التوديع

﴿ الاعراب ﴾ (وغدت) الواو لعطف الجملة بـمدها وغدت فعل
مضارع ناقص واسمه الضمير المستتر فيه العائد الى النفس (ومفارقة) خبره
(ولكل) جار ومجرور متعلق بمفارقة واللام فيه للتقوية وكل مضاف
(ومخلف) مضاف اليه (وعنها) متعلق بمخلف (وحليف) حال من مخلف
مضاف (والترب) مضاف اليه (وغير) حال أيضاً من مخلف مضاف
(ومشيح) مضاف اليه وجملة غدت معطوفة على جملة اذا قرب المسير المارة
فهي في محل جر

﴿ المعنى ﴾ قوله وغدت أى اخذت في قطع العلائق والاسباب غدوة ولم
يقبل ذهبت أو مضت لان المباكرة شأن من يريد نجاز الامر فانها تنق الكسل
ولهذا ورد في الحديث بورك لامتى في بكورها وذلك لان النفس حين تهب
من النوم يقارنها النشاط لانحلال البخار دوريا عند ارادة الراحة والنفس لا تحس
بامتلاء عند القيام من النوم وان لم يكن الهضم حقيقياً فاذا استوفت القوى مأربها
غدا الانسان في مطالبه غير مكترث الا بوجهته وما قيل من ان القيام من النوم يوجب
احساسا بما في المعدة فلا بد من تناول ولو جرعة ماء حار فانه يذهب الكسل
ويشدد الاعضاء فصحيح لمن بادر الى النوم قبيل الهضم * قال شيخنا داود
الانطاكي والقهوة من هذا القبيل * قال الشارح هذا البيت اشارة الى حصول
الموت بالفعل والمراد بالمخلف البدن المعطل المطروح بعد المفارقة واطافة كل
اليه لما فيه من معنى الجمعية لاشتماله على جمع من الاجزاء والقوى والاعضاء

ووصفه بكونه حليف التراب أي الارض الكشيفة اشارة الى انه ملازم لحظيره
غير مفارق لترتبه وقوله غير مشيع أي انه خسيس غير ملتفت اليه اشارة الى
قصور حاله في الشرف بعد مفارقتها له وطرحها اياه معطلا عن قبول التدبير
والتصرف ولذلك حث الشارع على المبادرة الى تجهيزه ومواراته بما روى
إكرام الميت دفنه وجعل ذاك اكراماً له لكونه آلة لتلك النفس الزكية في
تحصيل الكمالات الانسانية ووصولها بذلك الى تمام المقصود فلذلك كان
له حظ من الاكرام والاحترام على ابناء الجنس ومن ثم نذبت زيارة القبور

﴿ تنبيهات ﴾

﴿ التنبيه الاول ﴾ قال الغزالي اذا كان لا بد من المفارقة فيجب على من
رزقه الله عقلاً وميزبارته ونفسه ان يسعى في حيلة لنفسه وليكن في الدنيا
كرجل سجنه سلطان زمانا وبعثه الى ارض يكرهها وأهلها واغذيتهم فاذا
حصل بينهم علم انه متى تركهم عذبه وان خالطهم كفوا عنه فيكلمهم وياً كل
معهم ولكن ذهنه وقلبه وعشقه لقطره الذي خرج منه فاذا أخرجه الملك
من ثم الى قطره كان فرحاً بمفارقتهم فلو عكف عليهم وصرف همته اليهم ثم
بعث به اليه لكان خروجه نكداً فلا يزال معذباً فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا
يفرنكم بالله الغرور والرب تعالى هو المسؤول ان يختم لنا بالخير ويجعلنا به وله
فيما نأتى ونذروا أن يتجاوز عنا اذا وفدنا اليه محتاجين فقراء الي فضله منقطعين
عن الاهل والوطن مخلفين الابناء مبتدئين عن الآباء وقد حيل بيننا وبين
القريب والصاحب والموالي والاقارب اذا شرقت العين وجفت الشفة ويبتست
القدم حين لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون لا يستجيب لمن دعاه ولا
يرى شق الجيوب عليه حين الوفاة

﴿ التنبية الثاني ﴾ قال الغزالي الناس عند الموت ثلاثة أقسام (الاول) موفق ذو بصيرة يعلم أن الموت يعتقه والحياة تسترقه وأن الانسان وان طال مكثه في الدنيا كخطفة برق لمعت في اكناف السماء ثم اختفت فلا يشغل عليه الخروج من الدنيا الا بقدر ما يفوته من خدمة ربه والازدياد من قربه والاشفاق مما يقول أو يقال له * قال بعضهم لما قيل له لم تجزع قال لاني اسلك طريقا لم أعهده وأقدم على رب لم أره ولم أدر ما أقول وما يقال لي ومثل هذا لا ينفر من الموت بل ربما اذا عجز عن زيادة العبادة اشتاق اليه * قال بعضهم في مناجاته الهي ان سألتك الحياة في دار الموت فقد رغبت في البعد عنك وزهدت في القرب منك وقد قال نبينا من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (الثاني) رجل ردى البصيرة متلطح السريرة منهمك في الدنيا منغمس في علائقها رضى بالحياة الدنيا واطمان اليها ويئس من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور فاذا خرج الى دار الخلود أضرتة كما يضر الورد بالجعل فاذا فارق الدنيا لم يوافقته مصاحبة الملا الاعلى فكان كما قال تعالى ومن كان في هذا أعمى فهو في الآخرة أعمى فالدنيا سجن الاول وجنة الثاني والاول عبد ناداه مولاه فاجابه طوعا وقدم عليه مسرورا والثاني كعبد أحضر الى مولاه مأسورا وقيد الى حضرته مقهورا (الثالث) رتبة رجل بين رتبتين عرف غوائل هذا العالم وكره صحبته لكن أنس به فالفه فسييله سييل من ألف بيتا مظلما قدرا ولم ير غيره فهو يكره الخروج منه وان كان قد كره دخوله فاذا خرج ورأى ما أعد للصالحين لم يأسف بل قال الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الآية ولا يبعد أن يكره الانسان مفارقة شيء ثم اذا فارقه لم يأسف عليه فالصبي وقت الولادة انما يبكي لما يناله من ألم الانتقال ثم اذا عقل لا يتمنى العود اليه

والموت ولادة ثانية يستفاد منهما كمال لم يكن قبل بشرط أن لا يكون قد تقدم من الآفات والموارض ما يبطل قبول المحل للكمال كما أن الولادة سبب كمال مضبوط لم يكن عند الاختيار بشرط ان لا يكون تمكن في رحم المرأة من العلل والموارض ما منع قبول الكمال * ولكون الموت سبب كمال قال بعضهم ينبغي ان يكون دعاؤنا لعزرائيل وشكرنا له كدعائنا لجبريل وميكائيل ولذلك ورد في الدعاء اللهم صل على محمد وجبريل وميكائيل وملك الموت فان الاولين سييان لاعلامنا بما فيه خلاصنا من الدنيا ونجاتنا في الآخرة وذلك بواسطة محمد وملك الموت سبب اخراجنا الى ذلك العالم فحقه عظيم وشكره لازم

﴿التنبيه الثالث﴾ قال المجريطي سأل بعض الملوك بعض الحكماء هل تشتاق النفس بعد الموت الى الجسد وتتمنى عودها اليه فقال ذكروا ان بعض الملوك زوج ابنه واتخذ لحاشيته دعوة حافلة اسبوعا لا يعرفون غير الاكل والغنا والفرح والسرور وكان ابن الملك يقعد في صدر المجلس وينظر الى ما الناس فيه من الفرح فاذا انام اكثر الناس ومضى شطر الليل قام فدخل حجرة الخلو فاتفق ليلة انه سكر وسكروا فمشى في الدار حتى خرج من بابها وخرج من المدينة الى الصحراء فلم يدر اين هو فرأى ضوءا من بعد فقصدته فاذا باب مردود وضوء داخله فدخله فاذا يقوم نيام مطروحين كل واحد ملتف بازار فظن انها حجرة العروس والنيام جواربها فجعل يناديهم فلم يجبه منهم أحد فظن انه لشدة السكر فالتمس العروس بينهم حتى وقعت يده على واحدة أطراهن ثوبا وأطيبهن ريحاً فظن أنها عروسه فاضطجع معها فجعل ايلته يقرصها ويمتص لسانها ويتلذذ ولا يرى لذة اطيب مما هو فيه فلما أصبح وأفاق من سكره فتح عينيه فاذا هو في ناهوس خراب واذا أولئك النيام جيف الموتى

واذا هو بجنب عجوز ماتت بالقرب وعليها كفن جديد مخيط مبخر والدم
والصدید سائل منها وقد تلوث بدنه وثيابه به فهاله ذلك وقام مرعوبا وخرج
هاربا منتكرا حتى نزل نهرا فغسل ما عليه ورمى ثيابه ولبس ثيابا نظيفة فهل ترى
بعد ما نجاه الله من ميته تلك الليلة في الناوروس يشناق الى معارضة العجوز
المنتنة مرة أخرى قال لا قال الحكيم فكذا حال النفوس بعد مفارقتها
للأجسام وعودها الى ملكوت السماء

هجمت وقد كشف الغطاء فابصرت * ما ليس يدرك بالعيون الهجم
﴿ اللغة ﴾ (الهجوم) النوم ليلا تقول هجم يهجم بفتحين هجوعا نام
بالليل وجاء بعد هجمة أي بعد نومة من الليل وفي نسخة بدل هجمت سجمت
تقول سجمت المرأة رفعت السجف وهو الستر الذي يحجبها في خدرها وفي
نسخة سجمت والسجم كلام مقفى تميل النفس اليه (والكشف) رفع
الحجاب وعرفا الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والامور
الحقيقية وجودا وشهودا (والغطاء) الستر وهو ما يغطي به وجمعه أغطية
من قولهم غطا الليل يغطوا اذا سترت ظلمته كل شيء (والابصار)
ادراك المبصر بالنور الذي تدرك به الجارحة المبصرات يقال أبصرته برؤية
العين ابصارا وبصرت بالشيء بالضم والكسر لغة بصرا بفتحين علمت فانا به
بصير (والادراك) اللحقوق يقال ادركه اذ الحقة والمدرك بضم الميم يكون
مصدرا واسم زمان ومكان تقول ادركته مدركا أي ادراكا وهذا مدركه أي
موضع ادراكه اوزمنه (والعين) تقع بالاشتراك على اشياء مختلفة منها الباصرة
كما هنا (والهجم) كركع النيام

﴿ الاعراب ﴾ (هجمت) جواب حتى اذا قرب المسير (وقد) الواو

للحال وقد حرف تحقيق (وكشف) فعل ماض مجبول (والغطاء) نائب فاعل
(فابصرت) الفاء حرف عطف وتعقيب وابصرت فعل ماض وضميره المستتر
فاعل (وما ليس يدرك) ما موصول مفعول ويدرك المجهول صلته وضميره
المستتر عائداً لموصول (وبالعيون) متعلق بـ يدرك (والهجمع) نعمت العيون
﴿ المعنى ﴾ اعلم ان تقرير البيت على رواية سجفت بالفاء ان النفس عند
الفراق يزول عنها حجاب البدن فينكشف الغطاء فتدرك ما لا يتصور أن
تدركه اذا كانت متعلقة به وجعل المتلبسين بالبدن نياما لانهم بتعلق نفوسهم
بأبدانها محجوبون عن الادراك الحاصل للنفوس المجردة عن الابدان كما ان
النائم محجوب عن ادراك ما يدركه اليقظان وقد اخبر تعالى عن هذه الحالة
بقوله فكشفنا عنك غطاءك الآية وقول المصطفى الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا
وعلى رواية سجعت بالعين انه لما كان ارتحال النفس وان فراقها واتصالها بما
تشتاقه من العقول المجردة والتلذذ بالصور العقلية المرتسمة فيها سجعت شوقا
اليها وادركت من الصور الكلية المعرفة عن الشخصات المادية ما لا يدرك
بالعيون الهاجمة لان ادراكها بالآلات البدنية متعذر بل ممتنع على مذهب
القوم وعلى رواية هجعت معناها سكنت او ماتت وقد يسمى النوم موتا وعكسه
ولا بد من تصوير ذلك فنقول ﴿ النوم ﴾ ترك استعمال الحواس الظاهرة
والقاؤها لذلك البدن في المضجع والتفتاتها الي ما يخصها من التصرفات بحسب
القوة الوهمية او الفكرية فاشترك النوم والموت في مطلق ترك استعمال آلات
النفس لكن الموت ترك كلي مع عدم قبول الاستعمال لتلك الآلة بالكلية
والنوم ترك جزئي اي ترك استعمالها من بعض الوجوه مع قبول البدن لذلك
فيسمى النوم موتا وعكسه لا اشتراكها في مطلق ترك استعمال الآلة فاذا سمي

الموت نوما خص بالا كبره والغطاء اشارة الى البدن وما فيه من الاوهام حال
تعلق النفس به وكشفه القاؤها اياه في هذا العالم ومفارقتها الى ذلك العالم
وسمى غطاء لان النفس وهي في البدن منغمسة في عوارضه وعلائقه المادية
معرضة عن الالتفات لمطالعة ذلك العالم الملوى فاذا فارقت البدن خلصت من
العلائق والقت شائبة العوائق فأنحسر عن بصرها الغشاء وانكشف عن بصيرتها
الغطاء فأبصرت بالعين الحققة والبصيرة المحقة فلاحت لها اسرار الحق على الصفاء
وكشف عنها استار الغيب على الوفاء وتحققت انها كانت في غفلة ورقاد وان هذه
الحالة حالة اليقظة وقيام المعاد فادراكها للاشياء لا يختلف ولا يتبدل ولا يزول
ولا يتغير لكونه محض الحق وخلاصة الصدق والى ذلك أشار بقوله الناس
نيام فاذا ماتوا انتبهوا * فدل على ان معارف أهل الآخرة كلها ضرورية
حاصلة بالفعل بلا تعب ومعارف الانسان في هذا العالم بمعرض الغلط والتزلزل
لانه ينظر اليها من وراء حجاب وتبدل عليه الاشياء من حق الى باطل ومن
صحيح الى فاسد وعكسه لانغماره في عوارضه البدنية وهو المراد بقوله فأبصرت
الى آخره شبه العين الباصرة مع مجاورة البدن بالعين النائمة لان أكثر
أحوال النائم عقب اليقظة باطلة لكونها مجرد أضغاث أحلام بالنسبة الى اليقظة
الحسية فحال الانسان في الادراك قبل المفارقة كحالة النوم بالنسبة لما بعدها
* تبيه * فيه توضيح لما تقدم اعلم ان للانسان نشأتين احدهما تسمى
الحياة الدنيا والاخرى تسمى الحياة الاخرى أما الاولى فهي كونها مع البدن
وارتباطها به واشتغالها بواسطة الارتباط به بالعالم المحسوس وأما الثانية فهي
مفارقتها هذا البدن واشتغالها بما يخصها من الصفات الروحانية وقرنها إمامن
اوج الملائكة أو حضيض الشياطين

﴿والموت﴾ مفارقة النفس هذا البدن وتركها استعماله وانتباهها من غفلة
 الحواس* ونشير الى نبذة من أحوالها بعد المفارقة وكيفية تأثير الاعمال البدنية
 في اكتساب الصفات النفسية بقدر ما ينكشف قناع الشبهة وذلك بعد تمهيد
 بيان كمال النفس ونقصها فنقول (كمال كل شيء) ظهور خاصيته التي بها يمتاز
 عن كل موجود وخروجها من مهواة القوة المستترة الى الفعل التام (ونقصانه)
 خفاء تلك الخاصة في وهدية الامكان* فيقدر ما تظهر تلك الخاصة يطلق عليه
 اسم الكمال وبحسب ما تستتر فيه يخص باسم الناقص* ثم الاعزاز والاهانة
 تابعا للكمال والنقصان ومن اللائح ان خاصية الانسان التي امتاز بها عن غيره
 ان يدرك العلوم الكلية الحقيقية بحيث يرتفع عن بصيرته حجاب الشك
 ويتمن حقائق الامور منكشفة الجلايب عن ثمراتها فان الظن لا يغني عن
 الحق شيئا ويكون كريم الاخلاق أي تكون القوة الفكرية والغضبية والشهوية
 وما تركب منها منقادة لنواهيها وأوامره مدعنة لحوامله وزواجره فتكون فيه
 القوة العاقلة التي هي حجة الحق على الخلق مسلطة بالعدالة على القوة الهيكلية لان
 تكون القوة العالية العاقلة مسخرة للقوى البدنية السفلية* فان الانسان اذا
 كان متقن العلوم صادق الفهوم قادرا على ضبط القوى الجسمانية كان محفوظا
 بكماله اللائق به ثم كماله في العلوم يترجح بترجح المعلوم في جانبي النقص والكمال
 * وكذا كماله في الاخلاق يتفاوت بالقرب من خاص الاعتدال ثم يليه كون
 هذا الكمال سببا للهجة والراحة* وأما كيفية كون النقصان موجبا للسكابة
 والارتماض فمكشوفة عند اخوان النظار وأرباب الفكر فكيف يشك عاقل
 في التسداد نفس تطهرت من قاذورات الطبيعة التي تميلها الى الجانب السفل
 الحسي المخرج لها عن خواص فعلها الذي هو مقتضى ذاتها وهو ادراك

الحقائق الكلية والانخراط في زمرة الارواح المناسبة لحقيقتها وذلك ثمرة حسن
 الخلق الذي معناه التبرؤ عن الافراط والتفريط في المرغوبات الجسمانية * وأما
 نقصان الانسان فمعلوم من كونه مضادا لكماله وهو الجهل وسوء الخلق
 فيكون أعمى البصيرة مطايا للقوى البدنية في أحد الطرفين الافراط والتفريط
 واذا فارق البدن وهو بهذه الحالة يكون معذبا لان محبوباته كانت منحصرة
 في الجسمانيات وقد حيل بينه وبينها بانقطاع العلاقة بينه وبين آلة شهواته
 ومدركاته المخصوصة به والمعاني المجردة مستورة عنه لعمى بصيرته فيقع
 الانسان في ظلمة لانها عبارة عن عدم النور عما يمكن أن يستنير وكانت
 النفس يمكنها أن تستنير بنور الحق فتطالع حقائق الاشياء مستمدة من النور
 الازلي أي العلم الالهي وقد أخطأها ذلك * ثم الهيئات المحببة للذائد البدنية
 الراسخة في ذات النفس تدعوها الى طلب مواصلة المحبوب المقصود فتؤذيها
 غاية الايذاء وهي العقارب والحيات الروحانية * وهذا العذاب الروحاني الذي
 يهدى اليه العقل وكذا اللذة الروحانية المشار اليها أقوى من اللذة والعذاب
 الجسمانيين اللذين أثبتهما الشارع * واذا تبين معنى الكمال والنقصان نقول ان
 النفس لذاتها مهياة لقبول العلوم الحقيقية عن الملا الاعلى وانما يحول بينها
 وبين تلك العلوم الاشتغال بمصالح البدن والانهماك في اللذة الحسية فالنفس
 اذا كانت قاهرة للقوى البدنية غير غافلة عن تسخيرها لم تقدر القوة الجسمانية
 على منعها عن عالمها فتكون دائما الاستفادة من جانب الماكوت وبقدر زيادة
 علمها تزداد مشابقتها لذلك العالم وبقدر زيادة المشابهة ترتاح للوصول الى الملا
 الاعلى * فظهر ان الهيئة الانقيادية في البدن بالاوامر والنواهي مستلزمة
 للهيئة الفاعلية في النفس بالتبعية للبدن وتلك الهيئة الفاعلية هي الخلق الحسن

والهيئة المنفعلة في النفس لقبول صور الحقائق عن الملكوت مستلزومة لحصول
العلوم الحقيقية لها وكذا الهيئة الفاعلية في قوى البدن أي كونها مسخرة
(بالكسر) للنفس في متابعتها لتحصيل الشهوات موجبة (بالكسر) للهيئة
الانقيادية في النفس استنزاهها الاعراض عن العالم الملوى والتبعية لها في جهلها
الغريزي المستنزم لمحبة الجسمانيات المعذبة لها بعد المفارقة

﴿ ثم اعلم ﴾ ان مباشرة النفس للاحوال البدنية هي التي تكسبها هيئة
السعادة والكمال أو تكسوها لباس الشقاوة والوبال وان لكل فعل من
الحواس تأثيراً في كل من الهيئتين وان لم يشعر به الانسان حال حياته
الجسمانية ينكشف له عند حياته النفسانية فيشاهد عند خلع الجسد ثمرات
أفعاله من مسعدهاتها ومشقياتها والى مشاهدة تأثير جميع الافعال في النفس
يشير قوله تعالى من يعمل مثقال ذرة الآية وقوله تعالى كفى بنفسك اليوم
عليك حسيباً * وكان نفس الانسان كتاب محفوظ فيه أرواح أفعاله وهي
الهيئات الحاصلة منها وانما يقرؤه الانسان بعد الموت لتنبهه حينئذ من رقدة
الغفلة ورجوعه الى أحوال ذاته بعد ان كان مشغولاً بأحوال البدن مشغولاً
باصلاحه وتربيته وكما ان الانسان النائم يرى صوراً وهو غافل عن معناها
فاذا انتبه ووقع ذلك المعنى المصور بصورة الاحلام علم معنى تلك الصورة
النومية فكذا الانسان حال الحياة الدنيا غافل عما يفعله من البر والآثام وانما
حظه من تلك الامور ظواهرها وهو غافل عن أرواح تلك الافعال وهي
جعل النفس سعيدة أو شقية بأنواع السعادة والشقاوة فيظهر للنفس بعد الموت
تأثير تلك الافعال فتتصور عبادته لربه صوراً حسنة أو آسفة وعصيانه له صوراً
قبيحة توحشه فيتنعم بالاولى ويتأذى بالثانية ﴿ انما هي أعمالكم ترد عليكم ﴾

فترقيه الاولى الى فضاء السموات وعالم الملكوت ومنازل الارواح الطاهرة
فيرى هنالك من النعيم الأبدى والابتهاج السرمدي مالا عين رأت وينحط
بالثانية الى هاوية الجحيم وهي عالم الارواح الناقصة المظلمة المقيدة في عالم
الطبيعة فان تحضت الاولى فقد فاز فوزاً عظيماً * وان تحضت الثانية فقد خسر
خسراً ميبيناً * وان اجتمعا وهو الاكثر فالحكم في العاقبة للغالب

وغدت تغرد فوق ذرورة شاهق * والعلم يرفع كل من لم يرفع
* اللغة * (التغريد) التطريب بالصوت يقال غرد غرداً من باب
تعب اذا طرب في صوته وغناؤه كالطائر وغرد تغريداً مثله (وفوق) ظرف
مكان نقيض تحت نحو زيد فوق السطح ثم استعير للاستعلاء الحكيم
(والذرورة) بتثنية أوله المعجم من كل شئ اعلاه (والشاهق) العالى واراد
بذورة الشاهق العالم الروحاني وبالفوقية مطلق العلو

* الاعراب * (وغدت) الواو للعطف وغدت فعل ماض ناقص
معطوف على هجعت واسمه المستتر (وتغرد) الخبر (والعلم يرفع) الواو
للاستئناف والعلم مبتدا ويرفع فعل مضارع مبنى للمعلوم وفاعله مستتر فيه
تقديره هو والجملة في محل رفع خبر (وكل) مفعول مضاف (ومن) مضاف
اليه اسم موصول بمعنى الذى (ولم يرفع) صلته والمستتر عائد

* المعنى * يريد أن النفس لما تخلصت من البدن وفارقتة تجردت
معقولاً صرفاً مبرأة عن مقتضيات البدن الجاذبة الى اسفل فاتصلت بالروحانيات
وغردت سروراً بحصول ذلك الاتصال والخلاص من الداء العضال اذ التغريد
انما يستعمل عند هجوم فرحة أو زوال ترحة فمقصود البيت الاشارة الى حصول
كمال النفس بعد مفارقة البدن فانها فازت بالمقاصد الكلية وحصلت على اتم

الحالات العلوية وانفردت بمجالسة الاحباب ومؤانسة الاصحاب راتعة في رياض
تلك الازهار كارعة من زلال تلك الانهار مغردة في شواهد تلك الاغصان
بضروب الالخان ووصفه بكونه شاهقاً مبالغاً في ارتفاعه وهو استمارة لرفعة
منازلها وسمو درجاتها ملاحظاً ما تقدم من تشبيهها بالحمامة اذ من صفاتها
التفريد والاستعلاء على الاشجار * ثم احتج الناظم على قوله بالدليل كانه قيل
له بم ارتفعت فقال بالعلم فانه يرفع كل من لم يرفع اى من لم يكن رفيع القدر
على الذكر لان الترقى من العقل الهيولاني الذي هو بداية النقصان الى
العقل المستفاد الذي هو نهاية الكمال يصير النفس كاملة فهو اشارة الى ان
حصول تلك المنازل الرفيعة انما هو باكتسابها للعلوم الحقية وتخليتها بالاخلاق
المرضية والمنازل هي الثمر والعلم هو الشجر وفيه ايماء الى ان الزاهدين والعارفين
وان كانوا في هذه الدار خاملين محقرين فهم في الآخرة خواص رب العالمين
* وفيه حث على تعلم العلم وتعليمه ورفض الكسل والتواني والاجتهاد في
التحصيل فقد قال سقراط من خاطر بالنفس ظفر بالنفيس * ومن اطمان
بالكسل حرم العسل ومن استوطن الراحة لم يملأ الراحة والخوض في الشدائد
طلباً للتفريج من شأن العقلاء والسهر في طلب العلم مفاتيح ابواب العز
فلاي شئ اهبطت من شاخ * عال الى قعر الحضيض الاوضع

✕

﴿ اللغة ﴾ الشاخ العالي يقال شمش الجبل يشمخ بفتحين ارتفع فهو
شاخ وجبال شامخة وشاخات وشواخ ومنه قيل شمش بانفه اذا تكبر
وتعاضم وحينئذ فقوله (عال) تأكيد ويراوده للمبالغة في العلو وفي نسخة سام
بدل عال وهو بمعناه (وقعر) الشئ نهاية أسفله وجمعه قعور كفلس وفلوس
ومنه جلس في قعر بيته كناية عن الملازمة (والحضيض) القرار من الارض

عند منقطع الجبل وروى في حديث ان شخصاً أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كولا فلم يجد ما يضعه عليه فقال ضعه على الحضيض فانما انا عبد آكل كما يأكل العبد أى ضعه على الارض (والاوضع) الالخفض من وضع فلان اذا انحط قدره وذل ووضع في خسة بالبناء للمفعول فهو وضع أى ساقط لا قدر له والاسم الضعة بفتح الصاد وكسرها ونه قيل وضع في تجارته وصنعتة اذا خسر واراد بالحضيض الاوضع عالم الاجسام فانه بالنسبة الى العالم العقلي منحط الرتبة جدا خسيس

﴿ الاعراب ﴾ (فلاى شىء أهبطت) القاء فاء النصيحة أى اذا عرفت انها هبطت على كره ويكون ذلك بالاهباط فاقول لك لاى شىء أهبطت والباقي ظاهر

﴿ المعنى ﴾ هذا البيت شروع في السؤال عن الحكمة الباعثة لتعلق النفس بالبدن وانتهاء سؤاله عند قوله وهي التي قطع الزمان طريقها * وقول الشارح انه من هنا الى آخر القصيدة مشتمل على السؤال المذكور رد بانه لا دخل لما ذكره بعد ذلك في السؤال أصلا وأشار بالبيت الى انه تعالى انما ضرب الهبوط على النفس والزمها بالمقام في هذا العالم لتكتسب الكمال الانسانى وتشبهه بأرباب العالم الروحانى وهي وان كانت بسيطة الجوهر جليلة الصفات لكنها في أول الفطرة جاهلة جهلا ساذجا غافلة عما يضرها وينفعها ولوحها في تلك الحالة كدر وسطح مرآتها مظلم لكنه قابل للتنوير والصفاء سريع الكشف والانجلاء

(ومن القضاء والقدر الالهي) انها لا تكمل الا ان تعلقت بذلك البدن وتضرب تلك الآلات في اقتناص الجزئيات المحسوسة أولا وتخزنها في الخزائن

البدنية ثانياً ثم تعمد فنقصر صفوها ولبابها بالقوة الفكرية ثالثاً فتحصل
 بالعلم بالكليات القانونية على ماتحتها من الجزئيات واحداً واحداً رابعاً وهكذا
 حتى يفضى بها ذلك الى العلم بما في الحضرة القدسية والكرة المحيطة
 الفلكية بحسب ما في قواها من الامكان وما قدر لها الرحمن ثم تعود الى
 عالمها على غاية الصفاء فتزل منازل الابرار وتتأهل لجوار الواحد القهار
 ﴿ وقد ثبت ﴾ لدى الحكماء أن جوهرها يسمى النفس الناطقة وأن في
 العالم العلوي عقولا عاشرها يسمى العقل الفعال ينتقش بما في العالم من العلوم
 وما كان ويكون وتلك العلوم حاصلة له بالفعل ويسمى ذلك العقل الفعال بالعلة
 الفاعلة ويسمى جوهر النفس بالعلة القابلة وتلك العلة الفاعلة المنتقشة بجميع
 الصور كالمرآة العلوية والنفس الناطقة كالمرآة السفلية لخلوها عن جميع الصور
 مع قابليتها لحصولها

﴿ العقل ﴾

وينقسم العقل عند أهل المعقول الى نظري وعملي
 ﴿ فالعقل النظري ﴾ قوة للنفس بها تكتسب العلوم النظرية اما من
 الضروريات أو من النظريات المنتهية الى الضروريات ومراتب العقل من ذلك
 القابل متفاوتة فاذا تعلقت النفس بالبدن فهي حينئذ خالية عن الصور الكلية
 لكنها قابلة لها فتسمى عقلا هيولانيا أي قابلا لحصول صورة ما كلية
 وهو بمنزلة استعداد الطفل للكتابة * فاذا استعملت تلك الآلة في الجزئيات
 المحسوسة الشخصية تأهلت لأن يفاض عليها من العلة الفاعلية صور الاوليات
 الكلية التي بها يكون الانسان عاقلا فاذا أفيض عليها ذلك سميت عقلا بالملكة
 أي لها ملكة الانتقال بواسطة تلك الاوليات الى النظريات وهو كاستعداد

الامى لتعلم الكتابة * وهذا العقل ان كان متوقفاً المصباح سريع التحصيل
 للنظريات زيد في تسميته بأنه عقل قدسى * ثم اذا حصل مع تلك الاوليات
 النظريات لا على انها حاصلة بالفعل بل بمعنى انه متى شاء التفت اليها فيستحضرها
 من غير تجشم كسب جديد سمي عقلاً بالفعل لشدة قربها من الفعل وهو
 كاستعداد القادر على الكتابة حال كونه غير ملتبس بها وعند ذلك يتأهل
 لقبول الانتقاش الكلى بالفعل عن تلك المرآة العلوية فاذا حصل له تلك العلوم
 المتقشة في تلك المرآة بالفعل حتى يصير كأنه هو في الاحاطة بكل العلوم سمي
 عقلاً مستفاداً وهو كتلبس القادر على الكتابة بالكتابة * فهنا * اربع
 مراتب العقل الهولاني * ثم العقل بالملكة * ثم العقل بالفعل * ثم العقل
 المستفاد (والعقل العملي) قوة للنفس هي مبدأ تحريك القوة الشوقية الى
 ما يختار من الجزئيات من أجل غاية معلومة او مظنونة او موهومة

* واما العقل في العرف العام * فهو يقال لصحة الفطرة الاولى في
 الانسان فيحد. بأنه قوة بها التميز بين الامور الحسنة والقبیحة * ويقال لما
 يكتسبه الانسان من التجارب من الاحكام الكلية فيكون حده انه معان
 مجتمعة في الذهن تكون مقدمات يستنبط بها المصالح والاعراض * ويقال
 للحالة الادبية وحده هيئة محمودة للانسان في حركاته وسكناته واختياره

* واذا ثبت هذا فقد عرف بالتجربة الحسية ان انتقاش المرآة بالصورة
 انما يحصل من مقابلة تلك المرآة لتلك الصورة وان كان يختلف الانتقاش
 بالصفاء والخفاء بحسب جواهر تلك المرآي وما فيها من قوة الاستعداد وضعفه
 لكن لا بد من المقابلة حتى تنتقش المرآة بتلك الصورة وحينئذ يلزم وجوب
 الالتفات الى الجهة العلوية لتكون النفس الناطقة مقابلة بوجهها لوجه ذلك

الجوهر العلوي فيحصل الانتقاش فان التفتت للجهة السفلية حرمت ذلك الانتقاش والنور من ذلك العالي لانها على عكس المقابلة بل هي منقلبة الوجه عن جهة الحق الى الخلق وهذا هو الذي اوجب زهد الاولياء والحكماء ورفضهم الدنيا والاقبال على اسباب الآخرة واقتصر واعلى قوام الحياة ودفع الحاجة ومن ذلك يخرج الجواب عن السؤال وينزاح الاشكال

﴿ تبييه ﴾ قد سبق الناظم الى هذا السؤال غيره وأجابوا عنه في المحصل للامام الرازي بعد ما نقل عن الحرورية القائلين بقدم النفس مانصه اما النفس فانها تفيض عنها الحياة فيض النور عن قرص الشمس لكنها جاهلة لا تعلم الاشياء ما لم تمارسها وكان الباري تعالى عالماً بأن النفس ستميل الى التعلق بالهوى وتعشقها وتطلب اللذة الجسمية وتكره مفارقة البدن وتسى نفسها ولما كان شأن الباري تعالى الحكمة التامة عمد الى الهوى بعد تعلق النفس بها فركبها ضرراً من التراكيب على الوجه المؤلم ثم أفاض على النفس عقلاً وادراكاً وصار ذلك سبباً لتذكر علمها وسبباً لملها بأنها مادامت في العالم الهوى لا ياتي لا تنفك عن الآلام واذ عرفت النفس ذلك وعرفت ان لها في علمها اللذات الخالية عن الآلام اشتاقت الى ذلك العالم وعرجت بعد المفارقة وبقيت هناك ابد الآبدن في نهاية البهجة والسعادة * قالوا وبهذا الطريق زالت الشبهات الدائرة بين القائلين بالقدم والحدوث

﴿ ثم قال ﴾ وبقي علينا سؤالان (الاول) ان يقال لم تعلق النفس بالهوى بعد ان كانت غير متعلقة بها (الثاني) هلا منع الباري النفس عن التعلق بالهوى (وقد أجابوا عن الاول) بأن هذا السؤال غير مقبول من المتكلمين لانهم يقولون القادر المختار قد يرجح أحد مقدوريه على الآخر من غير

مرجح سوى ارادته ذلك فهلا جوزوا ذلك في النفس * وغير مقبول أيضا من
 الفلاسفة لانهم جوزوا في السابق أن يكون علة معدة للاحق فهلا جوزوا ان النفس
 وان فرض انها قديمة لها تصورات متجددة غير متناهية ولم يزل كل سابق علة
 للاحق حتى انتهت الى ذلك التصور الموجب لذلك التعلق (وأجابوا عن الثاني)
 بأن الباري علم أن الاصلاح للنفس أن تصير علة بمضار هذا التعلق حتى
 انها بنفسها تمتنع عن تلك المخالطة * وأيضا فالنفس لمخالطتها الهيولى تكتسب
 من الفضائل العقلية ما لم يكن موجودا لها فلهذين الغرضين لم يمنع الباري
 تعالى النفس عن التعلق بالهيولى الى هنا كلام الامام الرزاي * وقال الراغب
 الحكمة في خلق الله من يعلم انه يكفر وتكليفه اياه الايمان الناس وقعوا
 في هذه المسئلة في تخليط وصارت شبهة لهم عظيمة * فقال بعض المنكلمين
 هذا سؤال فاسد لانه لا فرق بين النفع والصلاح ومحال ان يوصف المعدوم
 بالنفع وما قالوه كلام يدفع الخصم بالجدال وليس فيه مقنع لمن طلب لدائه
 الدواء * وقال قوم خلق الله اياه ليعرض به للخير الابدى * قالوا وهذا قصد
 صحيح وان أفضى ببعض الناس الى مكروه لسوء اختياره وليس هذا ايضا
 بمقنع فالعالم بالعواقب يصح ان يفعل فعلا قاصدا به خيرا مع علمه بأن لا يحصل
 مقصوده كمن زرع في أرض سبخة مع علمه انها لا تثبت * وقال قوم لما كان
 الله هو الملك الحق فله ان يفعل في ملكه ما يشاء لا يسأل عما يفعل قالوا ولا يصح
 اعتباره بالشاهد فان مالك العبد في الشاهد هو مالك لمنافعه في الحقيقة دون
 غيرها * وقال بعض الحكماء في ذلك ان الصلاح والفساد والخير والشر في العالم
 لا تعتبر في الجزئيات بل في الكلليات وليس في العالم شر مطلق بوجه بل كل
 شرفيه فهو بالاضافة فكل فساد لشيء فهو صلاح لغيره * قال وقد ثبت انه

تعالى حكيم ولا يفعل بعباده الا ما هو الأصلح وثبت انما جهل اكثر حكمه
قال تعالى في حق الانسان انه كان ظلوما جهولا وخلق الانسان ضعيفا والله
يعلم وانتم لا تعلمون وما اوتيتم من العلم الا قليلا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
* واذا قد عرفت هذه الاصول فحق العاقل ان يدعن فيما يجمله للاعتراف
بحكمته تعالى ويطمئنه في قصوره عن ادراك حقيقتها ولا يحكم على الحكيم
بالحزر والتخمين والظن فقد قال تعالى في ذم من يحكم بذلك ان يتبعون الا الظن
* وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز وكان قد سأله عن مسألة من هذا
الجنس اعلم ان الله لا يطالب العباد بما قضى وقد رلكنه يطالبهم بما نهى وأمر
فطالب نفسك من حيث يطالب ربك ودع مالا يعينك والسلام الى هنا
كلام الامام

وقال * في موضع آخر مما يصعب جدا الوقوف على حكمة الله في معاقبة
المدنيين في القيمة وذلك ان المعاقب في الشاهد لا يعاقب الا لاحد وجوه ثلاثة
* اما قصد ان يردع المعاقب عن معاودة ما ارتكبه من الذنب * واما نكالا لغيره
لئلا يتعاطوا ما تعاطاه * واما تشفيا من غيظ يداخله على من ارتكب الذنب وقد
علم ان الآخرة ليست بدار تكليف فيظن ان هذا المرتكب للذنب يعاوده او
يقتدى به غيره والبارى تعالى منزه عن دخول الغيظ عليه وعن طلب التشفي
انتهى كلامه ولذلك قال الناظم

ان كان أهبطها الاله لحكمة * طويت عن الفذ اللبيب الاروع
* اللغة * (الحكمة) العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن والانجيل
والعاقبة الحميدة للشيء والمراد من الحكمة هنا الاخير وهو الباعث للانسان
على فعله او للحاكم على حكمه كما يقال ما الحكمة في ايجاب الزكاة في المال

الزكوى فيجاب بانها سد خلة الفقراء (وطويت) هنا بمعنى اشتبهت وخفيت
على سبيل المجاز وهي عاقبة حميدة الاعطاء (والفد) الفرد المتميز بقوة الادراك
والعقل الذي لا مثل له فيما نسب اليه من الحرف (والليب) العاقل الكامل
(والاروع) الذكي الادراك * وفي نسخة خفيت بدل طويت وفي نسخة
بدل الفد القطن

* الاعراب * (ان) حرف شرط جازم (وكان) فعل ماض ناقص
في محل جزم فعل الشرط واسمها ضمير مستتر يعود على الاله (واهبطها)
فعل ومفعول (والاله) فاعل اهبط وقد تنازعه كل من كان واهبط وأعمل
الاول في ضميره على رأى البصريين أو يكون الاله اسم كان ويقدر لاهبط
ضمير على رأى الكوفيين والجملة في محل نصب خبر كان (ولحكمة) متعلق
بأهبط (وقوله طويت) قال الشارح السمرقندي جواب الشرط يعني قوله ان
كان وتعقبه السمناني بانه سهو فاحش وحن ظاهر ثم قال الصواب ان
طويت في محل جر على انه صفة لحكمة والكلام ما تم وجواب الشرط قوله
فهبوطها لاشك الخ الآتى

* المعنى * يريد ان كان الاله اهبطها لحكمة خفيت عنا واشتبهت على
العقلاء بحيث لا يهتدى اليها الخ وتتم الكلام قوله

فهبوطها لاشك ضربة لازب * لتكون سامعة لما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية * في العالمين نخرها لم يرفع
* اللغة * (اللازب) اللازم الثابت يقال لزمه الشيء ضربة لازب اي
لا ينفك عنه البتة وهو أفصح من لازم قال الزمخشري ومن المجاز ما هذا
بضربة لازب والمراد أن هبوطها أمر لازم وحتم مقضى اوجبه الحكيم

الاقديس لما يترتب عليه من الفوائد الجليلة والنضائل الجميلة (والسمع) قوة مودعة في مقعر الصماخ يدرك بها الاصوات وذكره دون بقية الحواس لانه اعونها على تحصيل النضائل سيما في الملا الاعلى المشتمل على صريف الاقلام وصير الافلاك التي وضعت الموسيقى على نحوها ولأن كل حاسة هناك مؤخرة بالنسبة الى السمع اذ الابصار يحجب بالانوار والذوق بالشوق والشم بتمام البساطة واللمس بذهاب الكيفيات (والخفية) بمعنى الخفية (والخرق) الثقب المستدير (وقوله نخرقها لم يرقع) ماخوذ من المثل السائر اتسع الخرق على الراقع اى جاوز الشر والفساد حد الاعتدال في ما ربه بحيث لا يرجى صلاحه ولا يمكن اصلاحه

﴿ الاعراب ﴾ (فهبوطها) الفاء واقعة في جواب الشرط لكونه جملة اسمية وهبوط مبتدا مضاف والضمير مضاف اليه يعود الى النفس (ولا شك) اللام نافية للجنس وخبرها مقدر اى موجود فيه (وضربة) بالرفع خبر المبتدا مضاف (ولا زب) مضاف اليه (وتكون) اللام للتعليل والمعلل كون هبوطها ضربة لازب اى لازما وتكون فعل مضارع ناقص واسمها المستتر يعود على النفس (وسامعة) خبرها (ولما لم يسمع) متعلق بسامعة واللام للتقوية (وتعود) الواو للعطف وتعود بالنصب عطف على لتكون واسمها المستتر (وعامة) خبر تعود (نخرقها) التاء فاء الفصيحة وخرق مبتدا (ولم يرقع) بالبناء للمجهول وجملة في محل رفع خبر المبتدا ﴿ وفي نسخة فهبوطها ان كان ضربة لازب وحينئذ يكون ضربة بالنصب خبر كان واسمها المستتر يعود لهبوط والفاء في نخرقها واقعة في جواب الشرط لكون الجواب جملة اسمية وجملة نخرقها لم يرقع جواب الشرط وقد سد الشرط وجوابه مسد خبر فهبوطها

﴿ المعنى ﴾ ان النفس الناطقة كان هبوطها وتعلقها بالبدن على طريق
الزوم لتسمع ما لم تكن سامعة له من مبادئ العلوم وأصولها بواسطة
الحواس الظاهرة والباطنة وتصنى الى الالخان وقسمة الاصوات فتعلم انها
جزء من صرير الافلاك الشريفة فتستدل بها على عظمة صانعها وتفرده
بالوحدانية وتعود عالمة بالاسرار الخفية في العالمين بفتح الميم عالم الغيب
والشهادة أو البساطة والتركيب أو العقول والنفوس أو العالم العلوي والسفلي
أو الافلاك والعناصر أو الكون والفساد أو المدرك وما لا يدرك * وفي
نسخة بكسر الميم اى ما سوى الفياض الاول وأراد بقوله نخرقها لم يرقع انها
لو حصلت العلوم قبل المفارقة فمقصود عالم يحصل لان الكمالات العقلية
غير متناهية ولا يمكن حصولها للنفس في مدة الحياة وان لم تحصل العلوم
فمقصودها لم يحصل لبقائها في الجهل * أو لان اكثر النفوس تفارق أبدانها
بدون تحصيل الكمال المطلوب فيفوتها الكمال والسعادة الاخرية التي
تحصل لمن حصل على العلوم وتعلم انها لم يبق لها طريق الى اكتساب
الكمال اذا فارقت ولم تكتسب ما به تكمل سيما وهي عالمة بانه لا سبيل الى العود
وهذا هو سبب شدة الاسف فانها كلما عرفت قدر مافات ورأت انها قصرت
وان العود لا اكتساب الكمال محال اشتد التلief وفي الحالات الثلاث هي
صالحة لان يضرب لها المثل المشهور اتسع الخرق على الراقع

﴿ وحاصل السؤال ﴾ المتقدم انا قد علمنا هذا الهبوط والسريات
والخروج والحكيم تقدس لا يفعل شيئاً الا لحكمة فحيث لم يكن ذلك عبثاً
فلأى شئ هبطت من الاعلى للادنى واعتاضت بالفانى عن الباقي واختلطت
بالظلمة مستبدلة بها عن النور العجيب والخير الكامل * والسؤال عن النوع

لا عن الشخص فكان الناظم يقول مرادنا ايضاح تلك الحكمة فان النفس لم تعص بعد حتى يقال انزلها عقوبة * ولا هي غريبة من اللطائف التي انجست عنها فيقال طهر الامكنة الرفيعة منها * ولا تعشق بينها وبين ما انتهت اليه فيقال حملها على ذلك الاشتياق * ولا بينهما جاذبية مغنطيسية الى غير ذلك مما يمكن ان يقال (وحاصل ما اجيب به) انها اهبطت فتعلقت بالهيكل لتكمل بواسطة ان كانت من اهل الجسد والاجتهاد فاذا حق التفريق كانت بما اكتسبت أهلا لمخالطة الارواح الفاضلة والعود الى مألفها من حيث أخذت ممتزجة بالرفيق الاعلى * واعترض * بانه يلزم عليه ان يجب لكل نفس تعلقت ببدن ان لا تفارق حتى تتكمل وفساده بين ثم ان كانت من الملاء الأعلى فكيف تكون ناقصة وقد فرضتموه كالا محضا وخيرا صرفا وما نحن فيه اما بالضد أو ممتزج وكلاهما لا يعطى تكميلا وبأن اللطائف ان كانت لا تتكمل الا اذا تعلقت بالكشائف فيجب ان يتماق سائر الروحانية بالاجسام الكشيفة وهو محال وسيجيء الجواب في شرح قوله الآتي انعم برد جواب ما انا فاحص

X وهي التي قطع الزمان طريقها * حتى لقد غربت بغير المطلع
 * اللغة * (الزمان) مقدار حركة الفلك الاطلس (والطريق) مكان
 المرور من محل الى محل يذكر في لغة نجدونها جاء القرآن ويؤنث في لغة الحجاز
 (والغروب) البعد والتواري يقال غربت الشمس تغرب غروبا بعدت وتوارت
 في مغيبها والمراد به هنا انقطاع التعلق (والمطلع) موضع الطلوع من المكان
 المرتفع الى المنخفض والمراد هنا التعلق بالبدن
 * الاعراب * (وهي) الواو للحال وهي مبتدأ (والتي قطع الزمان

طريقها) الموصول وصلته في محل رفع خبر المبتدأ اذ التقدير المقطوعة الطريق
(وحتى) ابتدائية على مذهب الجمهور وحرف جر على مذهب الاخفش وابن
مالك والتقدير على الاول حتى غروبها متحقق بغير المطلع وعلى الثاني قطع
الزمان طريقها الى تحقق غروبها بغير المطلع

﴿ المعنى ﴾ يقول انما كان مراد النفس تحصيل مأربها من الارتسام
بالصور العقلية وتلك أسرار الموجودات الكائنة من الازل الى الابد لكن
الزمان قطع طريق مطلبها التي كانت ماشية اليه راجعة في التحصيل والتعويل
عليه بهلاك البدن الذي هو آتيا في تحصيل المطالب فان تكرار الازمنة
والحركات يضعف القوى البدنية ويحللها ويفضي بها الى الانداس بحيث تختل
احوالها ويحل التركيب الجسماني آخر الامر وهناك يشتد الاسف والتحرق حين
تحقق العدم بالتفرق وتستد عليها الطرق والمذاهب حتى انها لشدة ما تقاسى من
الاهوال وتشاهد من تيقن انحلال الاحوال لم يكن لها شغل الا التناهب للخروج
منه وقد اشرف على الفساد وآل أمره الى انقطاع الاسباب وانقلاع الاوتاد فتعود
كاسفة الانوار مستوحشة بعد الانس في تلك الديار قد ردت الى الوبال وذهبت
لكن لا من حيث طلعت وغربت لكن لا من حيث أشرقت وودنت بعد الشرف
الى الهبوط ومن أوج المعالي الى حضيض السقوط قد نزع منها الطبيعة
ما وهبته وتوازعت أيدي البلى ما جمعه وفرق الخلا بينها وبين ما حكمنه
فليت شعري اذا انكدرت النجوم وتناثرت الكواكب وطويت السماء
وسدت المذاهب ما حيلة العقل حتى يستقل بالتثبت وأي قدرة للحواس التي
تقطع اوصالها وتغيرت أحوالها ﴿ وغروبها بغير المطلع ﴾ انفصالها بصفة لم
تسكن وقت التعلق وذلك انها في حين التعلق كانت ساذجة لا تعرف الكمال

ولا النعيم ولا العقاب فلا تأسف على فوات الاولين او نقصهما ولا تخاف من
الاخير وأما في حال الانفصال فانها علمت ذلك فقد غربت بغير المطمع

* والمعنى على نسخة بعين المطمع انها انفصلت كما اتصلت على حد

* ثم ما سلم حتى ودعا * يرشد الى ذلك البيت الآتي فكانها برق الخ

فكانها برق تالق بالحى * ثم انطوى فكانه لم يلمع

* النغمة * (البرق) واحد بروق السحاب (وائق البرق) وائتلق

وتألق لمع (وقوله ثم انطوى) من الطى والمراد به هنا الخفاء والانطفاء

* الاعراب * (فكانها) الفاء للاستئناف (وبرق) خبر كأن

(وتألق بالحى) نعمت برق (وفكانه) الفاء للاستئناف والباقي ظاهر

* المعنى * يعني ان النفس عند فراق البدن تكون كأنها لم تصحب

البدن قط فكانها لم تكن وشبهه مدة اتصالها به بظهور البرق واختفائه في

قلة الزمان وسرعة انقضائه واذا خلصت من البدن نسبت في الامتداد الزمانى

من الازل الى الابد فمدة الاتصال لا تكون قدرا يعتد به وما مآله الى العدم

فهو في حكم المعدوم كما قال المثني

نصيبك في حياتك من حبيب * نصيبك في منامك من خيال

* وفي تعبيره بالطى لطيفة فلسفية * يشير بها الى مقاله المعلم الاول ياه فيمض

الكل انهيت فرد كلا الى أصله * وقال سقراط حين شرب السم اخلاص

اخلاص يا كثيف واصعد يامن لم يقبل الا دناس * وقال فيثاغورس الملك واحد

والحياة عنه والاقسام اثنان وكل ما خرج من شىء عائد اليه * وقال افلاطون

في مناجاته يا بحر القبيض امطرت فكان الطين ثم جففت فاخذت ماءك * وقال

قولس يا شمس النور صعدي ما مزجت * وقال وديمارطيس اللهم اشهدني

يوم التصعيد الذي لا تقطير بعده * وقال السهروردي يا نور الانوار فرق
وارفع * وقال المعلم الثاني ما هذا التنافس في المركز على ما هو عليه من الضيق
والحاجة وما يلزم من الضرورات في السفر يا مفيض خالص

أنعم برد جواب ما انا فاحص * عنه فنار العلم ذات تشعشع
* اللغة * أنعم من أنعم عليه أي أوصل عليه نعمة (والفحص) الاستقصاء
في البحث والتفتيش يقال فحصت عن الشيء وتفحصت استقصيت في البحث
عنه فالفاحص هو الباعث عن الشيء بغاية الاستقصاء البالغ في سلوكه ليصل
الي كنه حقيقته (ويقال تشعشت النار) اظهرت شعاعها وارتفعت

* الاعراب * (أنعم) فعل أمر وفي نسخة فأنعم بوصل الهمزة لضرورة
الوزن (فنار) الفاء للاستئناف ونار مبتدا وذات تشعشع خبر
* المعنى * يقول عليك بآتيان الجواب عما سألته وهو انزالها للوصول
الى الكمال ثم فصلها قبل ان تصل

* وأجيب * بان الغرض من اتصال النفس بالبدن تحصيل المطالب
التي يمكنها تحصيلها من الاطلاع على حقائق الاشياء بقدر ما يمكنها لان النفس
في مبدئ الفطرة خالية عن جميع المعقولات ولذلك سميت في تلك الحالة بالعقل
الهيولاني كما مر لشبهها بالهيولي الخالية عن جميع الصور المستعدة لها فانها
مستعدة لاكتساب المطالب العقلية قابلة للارتسام بالصور القدسية لكنها
متفاوتة في ذلك وهي مع ذلك على أربع مراتب (احداها) مرتبة الفائزين
بالمطالب العقلية والكمالات البشرية من معرفة الصانع والوقوف على حقائق
الاشياء بقدر الطاقة البشرية (الثانية) مرتبة النفوس التي لم ترتسم فيها المطالب
ولا اضدادها وهم في سعة من رحمة الله واليهم أشار المصطفى بقوله أكثر

اهل الجنة البله * وقال الناظم البله اذا نزهوا خالصوا من البدن الى سعادة
 تليق بهم * وقال البلاهة ادنى الى الخلاص من فطنة بتر (الثالثة) مرتبة
 النفوس الجاهلة التي ارتسمت فيها نقائص المطالب الحقمة المطابقة لما في نفس
 الامر لكن لا تكون راسخة فيها بل تزول عنها بسبب من الاسباب فيحصل
 لهؤلاء أيضاً ما حصل لمن قبلهم من السعادة الاخروية اللائقة بهم (الرابعة)
 مرتبة الاشقياء وهم الذين انتقشت نفوسهم بالصور المضادة للامور الواقعة
 في نفس الامر وهم الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وهؤلاء
 بالنسبة للاقسام المتقدمة قليل جدا كما اشار لذلك في الاشارات بقوله لا يقض
 عندك ان السعادة في الآخرة نوع واحد ولا انها لا تنال اصلا بالاستكمال
 العلم وان كان ذلك يجعل نوعها اشرف ولا ان مقارفة الخطايا بآية اي قاطعة
 لعصمة النجاة انما يهلك الهلاك السرمدي ضرب من الجهل وانما يعرض
 للعذاب ضرب من الرذيلة وذلك في أقل اشخاص الناس ولا تصغ الى من
 يجعل النجاة وقفاً على عدد مصروفة عن أهل الجهل والخطا الى الابد
 واستوسع رحمة الله * قال الطوسي دل بهذا على ان ماعدا الجهل والرذيلة اما
 يقتضيان شقاوة منقطعة او لا يقتضيان شقاوة اصلا * وقال الامام الرازي لما
 كان ربما يخطر بالبال ان سبب السعادة الاخروية ليس الا العلوم فالنفوس الخالية
 عنها لا يكون لها شيء من السعادة فيكون الغالب على النفوس ان تكون معطلة
 لا يكون بين وجودها وعدمها فرق أشار الى دفعه بذلك فالذي يقتضى
 العذاب المخلد هو العقائد الردية وأما الاخلاق الردية فتوجب العذاب مدة
 ثم يؤل الامر الى خلاص النفس الى سعة الرحمة فاذا قوبل ما وصل اليه من
 العذاب المنقطع الحاصل أولاً بالسعادة الابدية الحاصلة ثانياً كانت الغلبة

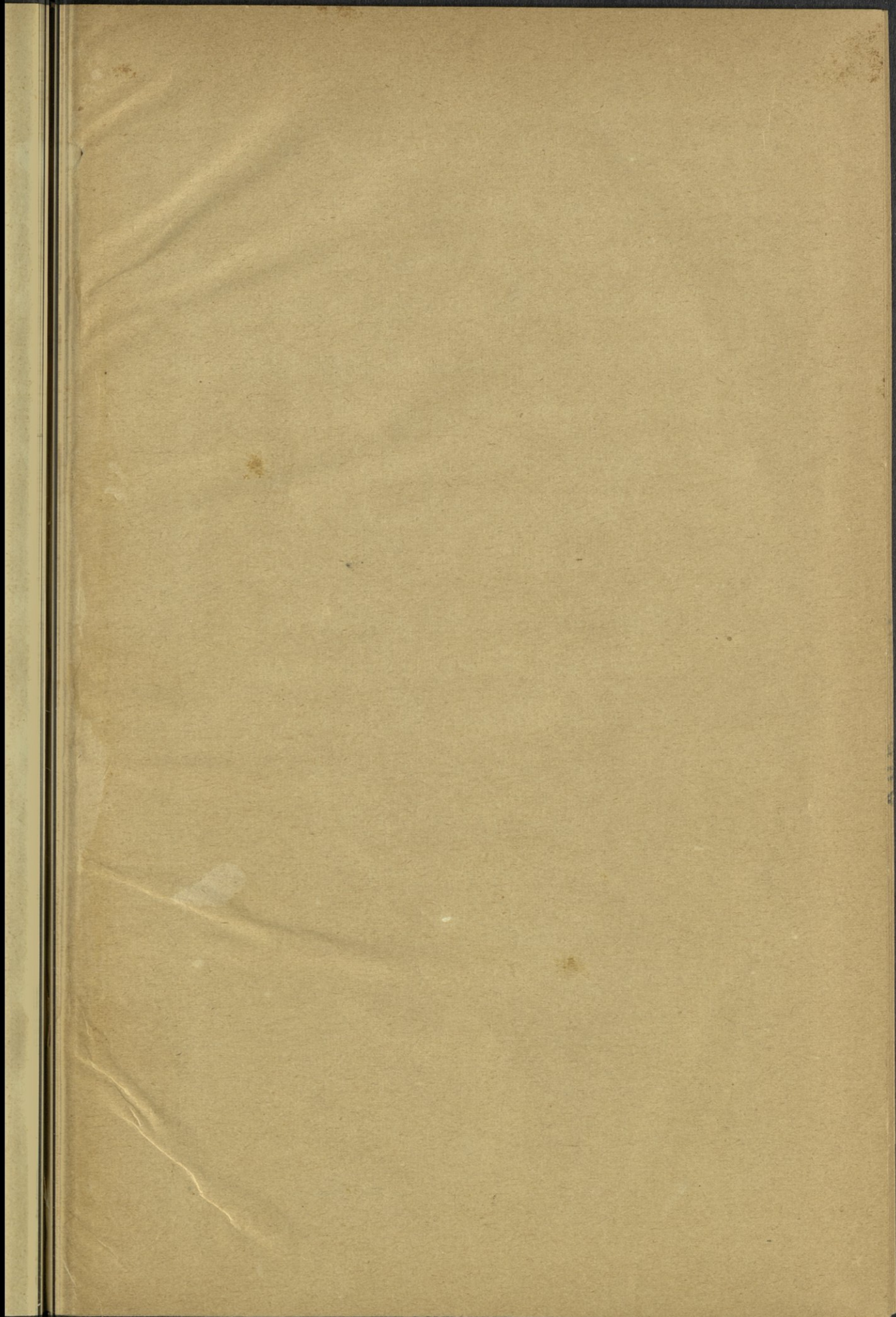
للسعادة على انه ليس كل خلق ردى يوجب العذاب بل موجه هو الخلق
 المتمكن في النفس تمكنا غالبا ولا شك ان ذا ليس بغالب بل نادر * فمن اعتقد
 ان الناجي ليس الا من عرف الحق بالبراهين وكان نقيًا عن الاوزار كما يقوله
 المعتزلة يلزمه ان يكون اهل النجاة في الآخرة في غاية القلة ولا كذلك بل
 النفوس الحالية عن العقائد الباطلة من اهل السعادة والنفوس الآثمة
 ستخلص الى السعادة وحينئذ فالغالب اهل النجاة واما الاشقياء فحضورون
 في اقل الاشخاص * واذا كان كذلك فقد سقط سؤال الناظم لأن الغرض
 المطلوب للنفوس البشرية حصل للاغلب ووصلوا الى الكمال وان بقيت بقية
 منهم بقية تزول في عذاب القبر واما نفوس الاشقياء الاشرار فهي لقلتها ساقطة
 عن الاعتبار فكأنها بالقياس الى الفائزين الابرار بمنزلة شر قليل واقع بين خير
 كثير ولا يليق بالصانع الحكيم ترك خير كثير لشر قليل * الا ترى الى
 قول السهروردي خير كثير يلزمه شر قليل لا يجوز على رحمة المبدع اهماله لان
 في ترك خير كثير يلزمه شر قليل شرا كثيرا كالنار فيها منافع كثيرة وان كان
 يلزمها احيانا حرق ثوب فقير (لا يقال) فهلا خلق هذا القسم برثيا من الشر
 (لانا نقول) هذا سؤال فاسد كانه قيل لم لم يجعل الماء غير الماء والنار غير النار
 غفلة عن ان ارادة الجماعل مرجحة حسبما تقتضيه الحكمة فاهمال المصالح الكلية
 والخيرات الكلية لشر جزئي لا يجوز ألم ترى ان الحكمة توجب قطع عضو
 لسلامة البدن والمبدع الاول لا يفعل الاشياء لغرض والعالي لا يعمل للسافل
 فالخلق تعالى لا غرض له في الصنع والاشياء ما لم تلزم لا تكون * وانما يطيل
 حديث الخير والشر من يظن ان حركات الافلاك وسلاسل الاسباب كانت
 لمصلحة الانسان اولترقية زيد وعمرو بل هذه لوازم لا يلتفت اليها * وقد

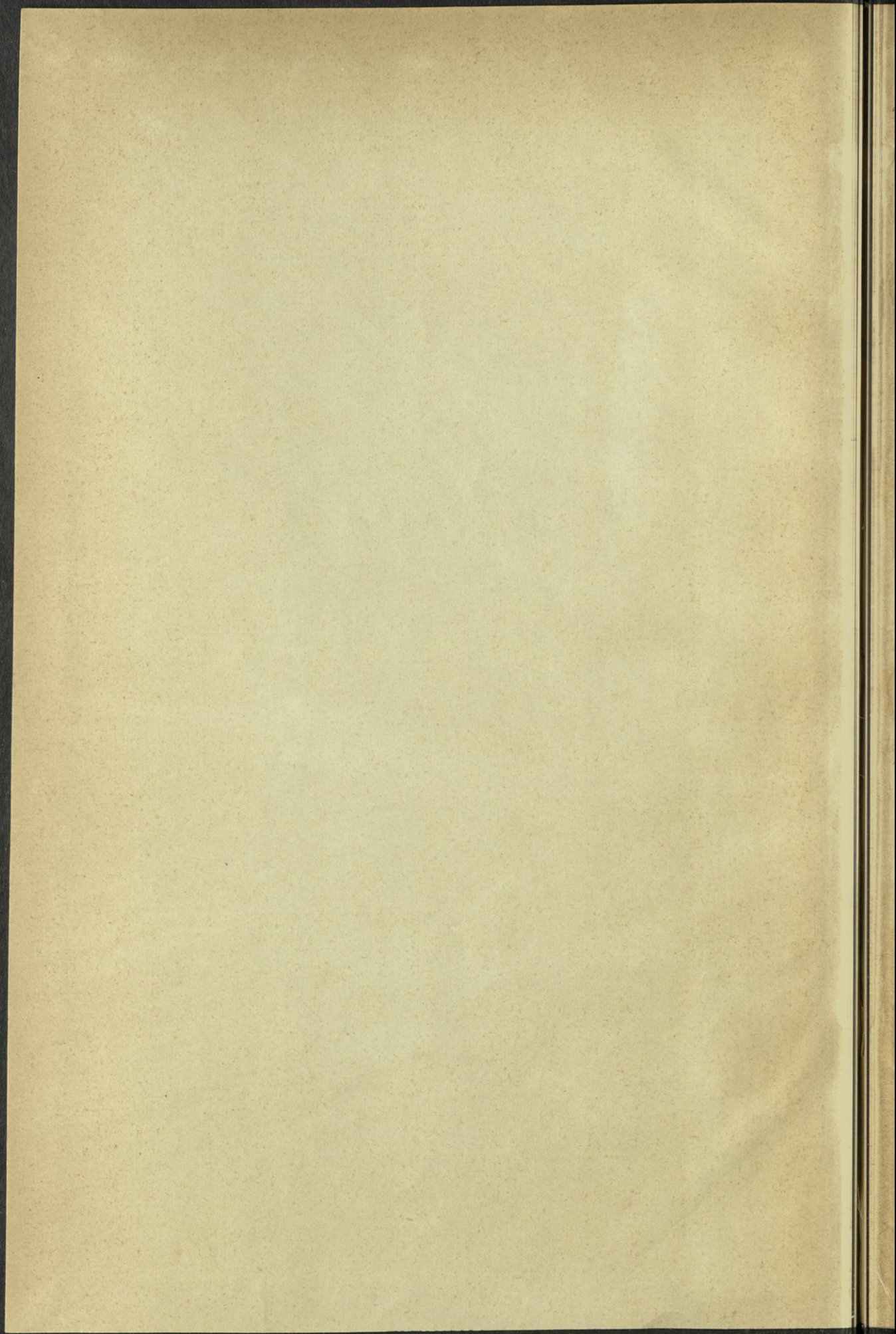
بين ان الوجود لا يصح ان يكون اتم مما هو عليه والممتنع غير مقدور * ولو كان للباري غرض ما ثبت فضله وقد قال ولكن الله ذو فضل على العالمين * وليس الباري مشتغل الذات بأن يعنى أرملة أو يهمل رضيعاً بأمانة مرضعته أو يهتك ستر أرباب الستر بل هي لوازم مقدرة لحركات كلية كما يشهد به وكل شئ عنده بمقدار اه

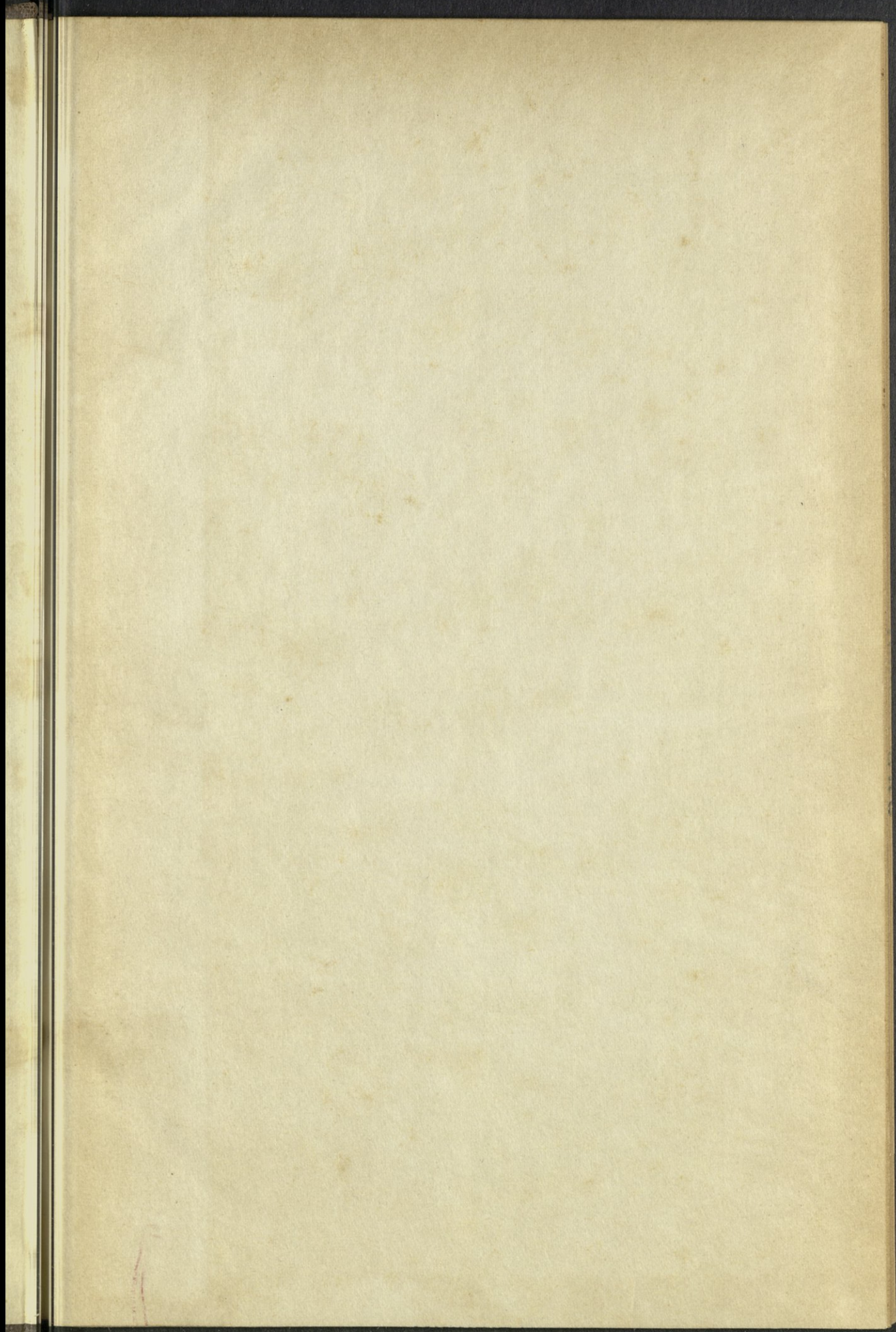
﴿وبما مر﴾ كله عرف ان الاشقياء في غاية الندرة بالنسبة للسعداء ورحمته وسعت كل شئ * على انه قد جاء في بعض الآثار ما يدل على خلاص السكل آخراً وأن النار تفتى ويزول عذابها دون الجنة * قال ابن تيمية نقل ذلك عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم * وأخرج عبد بن حميد عن عمر باسنادين رجالهما ثقات لو لبث أهل النار في النار كمدد رمل عالج لسكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه وتداوله أئمة غير مقابلين له بالانكار قال أعنى ابن تيمية وإنما أرادوا جنس أهل النار الذين هم أهلها وأما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علموا هم وغيرهم انهم لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريباً منه ونفط أهل النار يختص بمن عدا المؤمنين كما يشير اليه عدة أحاديث * ولا يناقضه خالد بن فيها وما هم منها بخيرين بل ما أخبر به الحق هو الحق الذي لا يقع خلافه * لكن اذا انقضى أجلها وفنيت كما تفتى الدنيا لم يبق نار فلم يبق عذاب * وورد في عدة طرق عن ابن عمر وليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقاباً * وجاء نحوه عن ابن مسعود * وأخرج عبد ابن حميد عن الشعبي جهنم أسرع الدارين عمارة وأسرعهما خراباً * وأخرج ابن مردويه عن جابر رفعه في قوله تعالى فاما الذين شقوا في النار الآية قال رسول الله ان شاء الله أن يخرج اناساً من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة

فعل * ورد ذلك بأن الاجماع على خلافه * واعترض * بانه انما يظن الاجماع من لم
 يعرف النزاع وقد عرف قديما وحديثا والذي دل عليه القرآن ان الكفار يخلدون
 في النار أبدا وانهم غير خارجين منها وانهم لا يفتر عنهم عذابها وانهم لا يموتون
 فيها وان عذابهم فيها مقيم وذلك كله لانزاع فيه بين المسلمين انما النزاع في
 شئ آخر وهو انه هل النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء والنصوص دالة على
 انهم لا يخرجون منها مادامت باقية كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها وفرق
 بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله وبين من يبطل حبسه بخراب
 الحبس حكى ذلك كله ابن القيم وأطنب فيه ودفع قوادحه في نحو كراسة * والذي
 نعتقده ما عليه هداة الامة وجمهور الائمة ان النار لا تفتنى ولا يزول
 عذابها * ووافق ابن القيم على نحو ما زعمه جمع من الصوفية * قال العفيف
 التلمساني اذا بلغ الانتقام الغاية انقلب رحمة وقام المصطفى لجنازة فقالوا انه
 يهودى فقال أليس الملك معها أليست نفسها * قال في الفتوحات هذا أرجى
 ما يمسك به اهل الله اذا لم يكونوا من أهل الكشف ولا التعريف الالهي
 في شرف النفس الناطقة وان صاحبها وان شق بدخول النار فهو كما يشق هنا
 بامراض النفس والعمل والهموم وان ذلك كله غير مؤثر في شرفها اذ كانت من
 العالم الا شرف فقام لها لكونها نفسا أي لذاتها وهذا يؤذن بتساوي النفوس
 * وفي رسالة القشيري عن بعض الصالحاء انه ذم من رأى نفسه خيرا من
 فرعون قال وهذه مسألة من أعظم المسائل تؤذن بشمول الرحمة وعمومها لكل
 نفس وان عمرت النفوس الدارين ولا بد من عمارة الدارين كما ورد ان الله
 سيعامل النفوس بما يقتضيه شرفها بسبب لا يعلمه الا أهل الله فانه من
 الاسرار المخصوصة بهم فكما ان الحد يجمعهم كذلك المقام يجمعهم لذاتهم

ان شاء الله * وقال تعالى في الذين شقوا ان ربك فعال لما يريد ولم يقل عطاء غير
 مجذوذ كما قال في السعداء رحمتي سبقت غضبي ووسعت كل شيء منة
 واستحقاقا وبالاصل كل ذلك منه منة فانه كتب على نفسه الرحمة الى هنا كلام
 ابن عربي * وقد قلنا لك ان اعتقادنا ما عليه الجماعة من أهل الفقه والحديث
 * فائدة * في المضمون الكبير المنسوب الى حجة الاسلام ان في التوراة
 ان اهل الجنة يمكثون في النعيم خمس عشرة الف سنة ثم يصيرون ملائكة وان
 اهل النار كذا او ازيد ثم يصيرون شياطين وفي الانجيل ان الناس
 يحشرون ملائكة لا يطعمون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتوالدون
 وفي القرآن ان الناس يحشرون كما خلقهم الله اول مرة
 الى هنا كلامه وهو لا ينافي ما تقدم لان الناس اذ
 خلقوا اول مرة كانوا ارواحا كما قال تعالى واذا اخذ
 ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وقال
 فسيقولون من يعيدنا قل الذي
 فطركم اول مرة فاذا اعيدوا
 كما فطروا يكونون
 ارواحا والله اعلم
 بالصواب







A.U.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00503667

CA
189.3
I13shA
c.2